



د. محمد العريفي

..أعمى يسدد الهدف..

لم أكن جاوزت الثلاثين حين أنجبت زوجتي أول أبنائي..
ما زلت أذكر تلك الليلة.. بقيت إلى آخر الليل مع الشلة في إحدى الإستراحات..
كانت سهرة مليئة بالكلام الفارغ.. بل بالغيبة والتعليقات المحرمة..
كنت أنا الذي أتولى في الغالب إضحاكهم.. وغيبة الناس.. وهم يضحكون..
أذكر ليلتها أني أضحكتهم كثيراً.. كنت أمتلك موهبة عجيبة في التقليد..
بإمكاني تغيير نبرة صوتي حتى تصبح قريبة من الشخص الذي أسخر منه..
أجل كنت أسخر من هذا وذاك.. لم يسلم أحد مني حتى أصحابي..
صار بعض الناس يتجنبني كي يسلم من لساني..
أذكر أني تلك الليلة سخرت من أعمى رأيته يتسول في السوق.. والأدهى أني وضعت قدمي أمامه فتعثر وسقط يتلفت برأسه لايدري مايقول.. وانطلقت ضحكتي تدوي في السوق..
عدت إلى بيتي متأخراً كالعادة..
وجدت زوجتي في انتظاري.. كانت في حالة يرثى لها..
قالت بصوت متهدج: راشد.. أين كنت؟
قلت ساخراً: في المريخ.. عند أصحابي بالطبع..
كان الإعياء ظاهراً عليها.. قالت والعبرة تخنقها: راشد.. أنا تعبة جداً.. الظاهر أن موعد ولادتي صار وشيكاً.. سقطت دمعة صامته على خدها.. أحسست أني أهملت زوجتي.. كان المفروض أن أهتم بها وأقلل من سهراتي.. خاصة أنها في شهرها التاسع.. حملتها إلى المستشفى بسرعة..
دخلت غرفة الولادة.. جعلت تقاسي الآلام ساعات طوال..



كنت أنتظر ولادتها بفارغ الصبر.. تعسرت ولادتها.. فانتظرت طويلاً حتى تعبت.. فذهبت إلى البيت.. وتركت رقم هاتفي عندهم ليبشروني..
بعد ساعة.. اتصلوا بي ليزفوا لي نبأ قدوم سالم..
ذهبت إلى المستشفى فوراً..
أول ما رأوني أسأل عن غرفتها..
طلبوا مني مراجعة الطبيبة التي أشرفت على ولادة زوجتي..

صرخت بهم: أي طبيبة؟! المهم أن أرى ابني سالم..
قالوا.. أولاً.. راجع الطبيبة..
دخلت على الطبيبة.. كلمتني عن المصائب.. والرضى بالأقدار..
ثم قالت: ولدك به تشوه شديد في عينيه ويبدوا أنه فاقد البصر!!
خفضت رأسي.. وأنا أدافع عبراتي.. تذكرت ذاك المتسول الأعمى.. الذي دفعته في السوق وأضحكت عليه الناس..
سبحان الله كما تدين تدان! بقيت واجماً قليلاً.. لا أدري ماذا أقول.. ثم تذكرت زوجتي وولدي..
شكرت الطبيبة على لطفها.. ومضيت لأرى زوجتي..
لم تحزن زوجتي.. كانت مؤمنة بقضاء الله. راضية.. طالما نصحتني أن أكف عن الاستهزاء بالناس.. كانت تردد دائماً.. لاتغتب الناس..
خرجنا من المستشفى.. وخرج سالم معنا..
في الحقيقة.. لم أكن أهتم به كثيراً.. اعتبرته غير موجود في المنزل..
حين يشتد بكاؤه أهرب إلى الصالة لأنام فيها.. كانت زوجتي تهتم به كثيراً.. وتحبه كثيراً.. أما أنا فلم أكن أكرهه.. لكنني لم أستطع أن أحبه!
كبر سالم.. بدأ يحبو.. كانت حبوته غريبة.. قارب عمره السنة فبدأ يحاول المشي.. فاكتشفنا أنه أعرج.. أصبح ثقيلاً على نفسي أكثر..
أنجبت زوجتي بعده عمر وخالداً..
مرت السنوات.. وكبر سالم.. وكبر أخواه..
كنت لا أحب الجلوس في البيت.. دائماً مع أصحابي..
في الحقيقة كنت كاللعبة في أيديهم.. لم تيأس زوجتي من إصلاحي..
كانت تدعو لي دائماً بالهداية.. لم تغضب من تصرفاتي الطائشة..
لكنها كانت تحزن كثيراً إذا رأت إهمالي لسالم واهتمامي بباقي إخوته..
كبر سالم.. وكبر معه همي..
لم أمانع حين طلبت زوجتي تسجيله في أحدى المدارس الخاصة بالمعاقين..
لم أكن أحس بمرور السنوات.. أيامي سواء.. عمل ونوم وطعام وسهر..
في يوم جمعة.. استيقظت الساعة الحادية عشر ظهراً..
ما يزال الوقت مبكراً بالنسبة لي.. كنت مدعواً إلى وليمة..
لبست وتعطرت وهممت بالخروج..
مررت بصالة المنزل.. استوقفني منظر سالم.. كان يبكي بحرقة!
إنها المرة الأولى التي أنتبه فيها إلى سالم يبكي منذ كان طفلاً.. عشر سنوات مضت.. لم ألتفت إليه.. حاولت أن أتجاهله.. فلم أحتمل.. كنت أسمع صوته ينادي أمه وأنا في الغرفة..

التفت.. ثم اقتربت منه.. قلت: سالم! لماذا تبكي؟!
حين سمع صوتي توقف عن البكاء.. فلما شعر بقربي..
بدأ يتحسس ما حوله بيديه الصغيرتين.. ما به يا ترى؟!
اكتشفت أنه يحاول الإبتعاد عني!!
وكأنه يقول: الآن احسست بي.. أين أنت منذ عشر سنوات؟!
تبعته.. كان قد دخل غرفته.. رفض أن يخبرني في البداية سبب بكائه..
حاولت التلطف معه..
بدأ سالم يبين سبب بكائه.. وأنا أستمع إليه وأنتفض.. تدري ما السبب!!
تأخر عليه أخوه عمر.. الذي اعتاد أن يوصله إلى المسجد..
ولأنها صلاة جمعة.. خاف ألا يجد مكاناً في الصف الأول..
نادى عمر.. ونادى والدته.. ولكن لا مجيب.. فبكى.. أخذت أنظر إلى الدموع تتسرب من عينيه المكفوفتين.. لم أستطع أن أتحمل بقية كلامه..
وضعت يدي على فمه.. وقلت: لذلك بكيت يا سالم!! قال: نعم..
نسيت أصحابي.. ونسيت الوليمة.. وقلت:
سالم لا تحزن.. هل تعلم من سيذهب بك اليوم إلى المسجد؟..
قال: أكيد عمر.. لكنه يتأخر دائما..
قلت: لا.. بل أنا سأذهب بك..
دهش سالم.. لم يصدق.. ظن أني أسخر منه.. استعبر ثم بكى..
مسحت دموعه بيدي.. وأمسكت يده..
أردت أن أوصله بالسيارة.. رفض قائلاً: المسجد قريب.. أريد أن أخطو إلى المسجد.. - إي والله قال لي ذلك - ..
لا أذكر متى كانت آخر مرة دخلت فيها المسجد..
لكنها المرة الأولى التي أشعر فيها بالخوف.. والندم على ما فرطته طوال السنوات الماضية..
كان المسجد مليئاً بالمصلين.. إلا أني وجدت لسالم مكاناً في الصف الأول..
استمعنا لخطبة الجمعة معاً وصلى بجانبي.. بل في الحقيقة أنا صليت بجانبه..



بعد انتهاء الصلاة طلب مني سالم مصحفاً..
استغربت!! كيف سيقرأ وهو أعمى؟
كدت أن أتجاهل طلبه.. لكني جاملته خوفاً من جرح مشاعره.. ناولته المصحف طلب مني أن أفتح المصحف على سورة الكهف..
أخذت أقلب الصفحات تارة.. وأنظر في الفهرس تارة.. حتى وجدتها..
أخذ مني المصحف.. ثم وضعه أمامه.. وبدأ في قراءة السورة.. وعيناه مغمضتان..
يا الله!! إنه يحفظ سورة الكهف كاملة!!
خجلت من نفسي.. أمسكت مصحفاً.. أحسست برعشة في أوصالي.. قرأت.. وقرأت.. دعوت الله أن يغفر لي ويهديني..
لم أستطع الإحتمال.. فبدأت أبكي كالأطفال..
كان بعض الناس لايزال في المسجد يصلي السنة.. خجلت منهم.. فحاولت أن أكتم بكائي.. تحول البكاء إلى نشيج وشهيق..
لم أشعر إلا بيد صغيرة تتلمس وجهي.. ثم تمسح عني دموعي..
إنه سالم!! ضممته إلى صدري..
نظرت إليه.. قلت في نفسي.. لست أنت الأعمى.. بل أنا الأعمى.. حين إنسقت وراء فساق يجرونني إلى النار..
عدنا إلى المنزل.. كانت زوجتي قلقة كثيراً على سالم..
لكن قلقها تحوّل إلى دموع حين علمت أني صليت الجمعة مع سالم..
من ذلك اليوم لم تفتني صلاة جماعة في المسجد..
هجرت رفقاء السوء.. وأصبحت لي رفقة خيرة عرفتها في المسجد..
ذقت طعم الإيمان معهم.. عرفت منهم أشياء ألهتني عنها الدنيا.. لم أفوّت حلقة ذكر أو صلاة الوتر.. ختمت القرآن عدة مرات في شهر..
رطبت لساني بالذكر لعل الله يغفر لي غيبتي وسخريتي من الناس..
أحسست أني أكثر قرباً من أسرتي..
اختفت نظرات الخوف والشفقة التي كانت تطل من عيون زوجتي..
الابتسامة ما عادت تفارق وجه ابني سالم.. من يراه يظنه ملك الدنيا وما فيها..
حمدت الله كثيراً على نعمه..
ذات يوم.. قرر أصحابي الصالحون أن يتوجهوا إلى إحدى المناطق البعيدة للدعوة..
ترددت في الذهاب.. استخرت الله.. واستشرت زوجتي..
توقعت أنها سترفض.. لكن حدث العكس!
فرحت كثيراً.. بل شجعتني.. فلقد كانت تراني في السابق أسافر دون استشارتها فسقاً وفجوراً..
توجهت إلى سالم.. أخبرته أني مسافر.. ضمني بذراعيه الصغيرين مودعاً..

تغيبت عن البيت ثلاثة أشهر ونصف..
كنت خلال تلك الفترة أتصل كلما سنحت لي الفرصة بزوجتي وأحدث أبنائي..
اشتقت إليهم كثيراً.. آآآه كم اشتقت إلى سالم!!
تمنيت سماع صوته.. هو الوحيد الذي لم يحدثني منذ سافرت..
إما أن يكون في المدرسة أو المسجد ساعة اتصالي بهم..
كلما حدثت زوجتي عن شوقي إليه.. كانت تضحك فرحاً وبشراً..
إلا آخر مرة هاتفتها فيها.. لم أسمع ضحكتها المتوقعة.. تغير صوتها..
قلت لها: أبلغي سلامي لسالم.. فقالت: إن شاء الله.. وسكتت..
أخيراً عدت إلى المنزل.. طرقت الباب.. تمنيت أن يفتح لي سالم..
لكن فوجئت بابني خالد الذي لم يتجاوز الرابعة من عمره..
حملته بين ذراعي وهو يصرخ: بابا.. بابا..
لا أدري لماذا انقبض صدري حين دخلت البيت..
استعذت بالله من الشيطان الرجيم..
أقبلت إلى زوجتي.. كان وجهها متغيراً.. كأنها تتصنع الفرح.
تأملتها جيداً.. ثم سألتها: ما بك؟
قالت: لاشي..
فجأة تذكرت سالماً.. فقلت.. أين سالم؟
خفضت رأسها.. لم تجب.. سقطت دمعات حارة على خديها..
صرخت بها.. سالم.. أين سالم..؟
لم أسمع حينها سوى صوت ابني خالد.. يقول بلثغته: بابا.. ثالم لاح الجنة.. عند الله..
لم تتحمل زوجتي الموقف.. أجهشت بالبكاء.. كادت أن تسقط على الأرض.. فخرجت من الغرفة..
عرفت بعدها أن سالم أصابته حمى قبل موعد مجيئي بأسبوعين..
فأخذته زوجتي إلى المستشفى..
فاشتدت عليه الحمى.. ولم تفارقه.. حين فارقت روحه جسده..



.. الملك ..

بعض الناس.. تشتاق نفسه إلى الهداية..
لكنه يمنعه الكبر من إتباع شعائر الدين..
نعم يتكبر عن تقصير ثوبه فوق الكعبين.. وإعفاء لحيته ومخالفة المشركين..
فجمال مظهره أعظم عنده من طاعة ربه..
وبعض النساء كذلك.. لا تزال تتساهل بأمر الحجاب.. حرصاً على تكميل زينتها.. وحسن بزتها.. أو تعصي ربها بنتف حاجبها.. أو تضييق لباسها.. وإذا نصحت استكبرت وطغت..
ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر.. فكيف إذا كان هذا الكبر مانعاً من الهداية..
كان جبلة بن الأيهم..
ملكاً من ملوك غسان.. دخل إلى قلبه الإيمان..
فأسلم ثم كتب إلى الخليفة عمر رضي الله عنه.. يستأذنه في القدوم عليه..
سرّ عمر والمسلمون لذلك سروراً عظيماً..
وكتب إليه عمر: أن اقدم إلينا.. ولك مالنا وعليك ما علينا..
فأقبل جبلة في خمسمائة فارس من قومه..
فلما دنا من المدينة لبس ثياباً منسوجة بالذهب.. ووضع على رأسه تاجاً مرصعاً بالجواهر.. وألبس جنوده ثياباً فاخرة..
ثم دخل المدينة.. فلم يبق أحد إلا خرج ينظر إليه حتى النساء والصبيان..
فلما دخل على عمر رحّب به وأدنى مجلسه!..
فلما دخل موسم الحج.. حج عمر وخرج معه جبلة..
فبينما هو يطوف بالبيت إذ وطئ على إزاره رجل فقير من بني فزارة..
فالتفت إليه جبلة مغضباً.. فلطمه فهشم أنفه..
فغضب الفزاري.. واشتكاه إلى عمر بن الخطاب..
فبعث إليه فقال: ما دعاك يا جبلة إلى أن لطمت أخاك في الطواف.. فهشمت أنفه!
فقال بكل كبر وغرور: إنه وطئ إزاري؟ ولولا حرمة البيت لضربت عنقه..
فقال له عمر: أما الآن فقد أقررت.. فإما أن ترضيه.. وإلا اقتص منك ولطمك على وجهك..
قال: يقتص مني وأنا ملك وهو سوقة!
قال عمر: ياجبلة.. إن الإسلام قد ساوى بينك وبينه.. فما تفضله بشيء إلا بالتقوى..
قال جبلة: إذن أتنصر..
قال عمر: من بدل دينه فاقتلوه.. فإن تنصرت ضربت عنقك..
فقال: أخرني إلى غد يا أمير المؤمنين..
قال: لك ذلك.. فلما كان الليل خرج جبلة وأصحابه من مكة.. وسار إلى القسطنطينية فتنصر..

فلما مضى عليه زمان هناك..

ذهبت اللذات.. وبقيت الحسرات.. فتذكر أيام إسلامه.. ولذة صلاته وصيامه..

فندم على ترك الدين.. والشرك برب العالمين..

فجعل يبكي ويقول:

تنصرت الأشراف من عار لطمة ••• وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

تكنفني منها لجاج ونخوة ••• وبعت لها العين الصحيحة بالعور

فياليت أمي لم تلدني وليتني ••• رجعت إلى القول الذي قال لي عمر

وياليتني أرعى المخاض بقفرة ••• وكنت أسير في ربيعة أو مضر

وياليت لي بالشام أدنى معيشة ••• أجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ثم مازال على نصرانيته حتى مات..

نعم.. مات على الكفر لأنه تكبر عن الذلة لشرع رب العالمين..

.. شيخ في مرقص ..

قال لي:

كان في حارتنا مسجد صغير يؤم الناس فيه شيخ كبير.. قضى حياته في الصلاة والتعليم..

لاحظ أن عدد المصلين يتناقص.. كان مهتماً بهم.. يشعر أنهم أولاده..

ذات يوم التفت الشيخ إلى المصلين وقال لهم: ما بال أكثر الناس.. خاصة الشباب لايقربون المسجد ولايعرفونه..

فأجابه المصلون: إنهم في المراقص والملاهي..

قال الشيخ: مراقص!! وما المراقص؟

فقال أحد المصلين: المرقص صالة كبيرة فيها خشبة مرتفعة.. تصعد عليها الفتيات يرقصن والناس حولهن ينظرون إليهن..

قال الشيخ: أعوذ بالله.. والذين ينظرون إليهن مسلمون.. قالوا: نعم..

فقال بكل براءة: لا حول ولا قوة إلا بالله.. يجب أن ننصح الناس..

قالوا: ياشيخ.. تعظ الناس وتنصحهم في المرقص..؟

فقال نعم.. ثم نهض خارجاً من المسجد.. وهو يقول: هيا بنا إلى المرقص..



حاولوا أن يثنوه عن عزمه.. أخبروه أنهم سيواجهون بالسخرية والاستهزاء.. وسينالهم الأذى.. فقال: وهل نحن خير من محمد ﷺ !!

ثم أمسك الشيخ بيد أحد المصلين.. وقال: دلني على المرقص..

مضى الشيخ يمشي.. بكل صدق وثبات حتى وصلوا إلى المرقص..

رآهم صاحب المرقص من بعيد.. ظن أنهم ذاهبون لدرس أو محاضرة..

فلما أقبلوا عليه.. تعجب!!.. فلما توجهوا إلى باب المرقص..

سألهم: ماذا تريدون؟ قال الشيخ: نريد أن ننصح من في المرقص..

تعجب صاحب المرقص.. وأخذ ينظر إليهم.. واعتذر عن قبولهم..

أخذ الشيخ يساومه.. ويذكره بالثواب العظيم.. لكنه أبى.

فأخذ يساومه بالمال ليأذن لهم.. حتى دفعوا له مبلغاً من المال يعادل دخله اليومي..

فوافق صاحب المرقص.. وطلب منهم أن يحضروا في الغد عند بدء العرض اليومي!

فلما كان الغد والناس في المرقص..

وخشبة المسرح تعج بالمنكرات.. والشياطين تحف الناس وتصفق لهم..

وفجأة أسدل الستار.. ثم فتح.. فإذا شيخ وقور يجلس على كرسي..

دهش الناس.. وتعجبوا.. ظن بعضهم أنها فقرة فكاهية..

بدأ الشيخ بالبسملة.. والحمد لله.. والثناء عليه.. وصلى على النبي عليه الصلاة والسلام..

ثم بدأ في وعظ الناس..

نظر الناس بعضهم إلى بعض.. منهم من يضحك.. ومنهم من ينتقد.. ومنهم من يعلق بسخرية.. والشيخ ماض في موعظته لا يلتفت إليهم..

حتى قام أحد الحضور.. وأسكت الناس.. وطلب منهم الإنصات..

بدأ الهدوء يحيط بالناس.. والسكينة تنزل على القلوب..

حتى هدأت الأصوات.. فلا تسمع إلا صوت الشيخ..

قال كلاماً ما سمعوه من قبل.. آيات تهز الجبال.. وأحاديث وأمثال.. وقصص لتوبة بعض العصاة.. وأخذ يدافع عبراته ويقول..

يا أيها الناس.. إنكم عشتم طويلاً.. وعصيتم الله كثيراً..

فأين ذهبت لذة المعصية.. لقد ذهبت اللذة وبقيت الصحائف سوداء..

ستسألون عنها يوم القيامة.. سيأتي يوم يفنى فيه كل شيء إلا الله الواحد القهار..

أيها الناس.. هل نظرتم إلى أعمالكم.. والى أين ستؤدي بكم..

إنكم لا تتحملون النار في الدنيا.. وهي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم..

فبادروا بالتوبة قبل فوات الأوان.. أيها الناس ماذا فعل الله بكم لتواجهوا بالعصيان.. أليس خيره عليكم نازل وشركم إليه صاعد.. يتحبب إليكم بالنعم.. وتتبغضون إليه بالمعاصي..

وبدأ الشيخ متأثرا وهو يعظ.. كانت كلماته قد خرجت من القلب.. فوصلت إلى

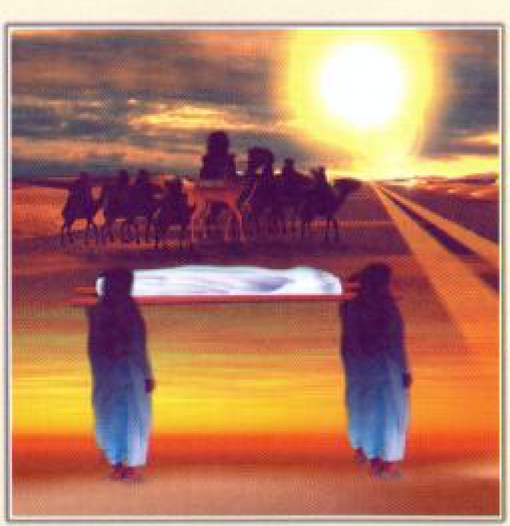
القلب.. بكى الناس.. فزاد في موعظته.. ثم دعا لهم بالرحمة والمغفرة.. وهم يرددون: آمين.. آمين.. ثم قام من على كرسيه.. تجلله المهابة والوقار..
وخرج الجميع وراءه.. - نعم الجميع - .. وكانت توبتهم على يده.. عرفوا سر وجودهم في الحياة.. وما تغني عنهم الرقصات واللذات.. إذا تطايرت الصحف وكبرت السيئات.. حتى صاحب المرقص.. تاب وندم على ماكان منه..

.. الشيخ الضال..

أحياناً.. يعرف المرء الحق ويرغب في اتباعه..
لكنه يغرى بمتع الدنيا.. فيظل على معصيته.. نعم يغرى إما بوظيفة أو مال أو جاه أو صداقة فيترك استقامته على الدين بسببها.. ويؤثر الحياة الدنيا.. والآخرة خير وأبقى.. الأعشى بن قيس..
كان شيخا كبيرا شاعرا.. خرج من اليمامة.. من نجد.. يريد النبي عليه الصلاة والسلام.. راغباً في الدخول في الإسلام..
مضى على راحلته.. مشتاقاً للقاء رسول الله ﷺ.. بل كان يسير وهو يردد في مدح النبي ﷺ قائلاً:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا ••• وبت كما بات السليم مسهدا
ألا أيهذا السائلي أين يممت ••• فإن لها في أهل يثرب موعدا
نبي يرى ما لاترون وذكره ••• أغار لعمري في البلاد وأنجدا
أجدك لم تسمع وصاة محمد ••• نبي الإله حيث أوصى وأشهدا
إذ أنت لم ترحل بزاد من التقى ••• ولا قيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لاتكون كمثله ••• فترصد للأمر الذي كان أرصدا

وما زال يقطع الفيافي والقفار.. يحمله الشوق والغرام.. إلى النبي عليه الصلاة والسلام.. راغباً في الإسلام.. ونبذ عبادة الأصنام..
فلما كان قريباً من المدينة.. اعترضه بعض المشركين فسألوه عن أمره؟ فأخبرهم أنه جاء يريد لقاء رسول الله ﷺ ليسلم.. فخافوا أن يسلم هذا الشاعر.. فيقوى شأن النبي ﷺ.. فشاعر واحد وهو حسان بن ثابت قد فعل بهم



الأفاعيل.. فكيف لو أسلم شاعر العرب الأعشى بن قيس..
فقالوا له: يا أعشى دينك ودين آبائك خير لك..
قال: بل دينه خير وأقوم..
فنظر بعضهم إلى بعض وجعلوا يتشاورون.. كيف يصدوه عن الدين..
فقالوا له: يا أعشى.. إنه يحرم الزنا.. فقال: أنا شيخ كبير.. وما لي في النساء حاجة..
فقالوا: إنه يحرم الخمر..
فقال: إنها مذهبة للعقل.. مذلة للرجل.. ولا حاجة لي بها..
فلما رأوا أنه عازم على الإسلام..
قالوا: نعطيك مائة بعير وترجع إلى أهلك وتترك الإسلام..
فجعل يفكر في المال.. فإذا هو ثروة عظيمة.. فتغلب الشيطان على عقله..
والتفت إليهم وقال: أما المال.. فنعم..
فجمعوا له مائة بعير.. فأخذها.. وارتد على عقبيه.. وكرّ راجعاً إلى قومه بكفره..
واستاق الإبل أمامه.. فرحاً بها مستبشراً.. يرى أنه قد اجتمع له الشعر مع الجاه والغنى.. لكنه نسي أن الله له بالمرصاد.. كيف يعصي الله لأجل دنيا.. والله عنده خزائن السموات والأرض..
فلما كاد أن يبلغ دياره.. سقط من على ناقته فانكسرت رقبته ومات خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين..

.. سارة..

الإشارة حمراء.. والطريق مليء بالسيارات.. لم يتبق على الموعد سوى بضع دقائق..
تباً لهذه الإشارة إنها طويلة.. يا ليتني كنت في الصف الأول.. لكنت قطعتها..
الثواني تمر بطيئة كأنها دقائق بل ساعات..
أنظر إلى الساعة حيناً وإلى الإشارة حيناً آخر..
أضاءت الإشارة خضراء.. ضغطت على منبه السيارة أزعجت الجميع.. تحركت السيارات.. تجاوزت الأول.. كدت أصطدم بالثاني.. قيادتي للسيارة أفزعت من حولي.. حاولت أن أسرع.. لكنني لم أستطع..
مضى الوقت.. وضاع الموعد.. ولم أجد الأصدقاء.. لقد ذهبوا..
إلى أين أذهب؟.. احترت في الإجابة.. أطلقت زفرة من صدري.. ياليتني كنت أعرف مكانهم..
السيارة تمضي بهدوء.. انطلقت أفكر.. أيقظني منبه سيارة أخرى.. نظرت إلى صاحب السيارة بغضب.. وأشرت إليه بيدي.. تمهل الدنيا لن تطير.. ونسيت حالي قبل دقائق..
قررت أن أقضي السهرة في البيت.. إنها فكرة جيدة.. فابنتي الوحيدة مريضة..
والأفضل أن أكون قريباً منها..

أوقفت السيارة أمام محل الفيديو.. نزلت إلى المحل.. اخترت عدة أفلام.. وانطلقت إلى المنزل..

فتحت الباب.. ناديت على زوجتي.. احضري الشاي والمكسرات..

دخلت إلى الغرفة.. "يالها من زوجة معقدة".. الآن ستقول لي: "اتق الله يا أحمد".. لقد تعودت على هذه الكلمات حتى تبلدت أحاسيسي نحوها.. لكنها زوجة مطيعة.. طيبة.. تشقى من أجل سعادتي..

دخلت ومعها الشاي والمكسرات.. ابتسمت في وجهي.. قالت: لابد أنك سئمت السهر مع أصدقائك وتريد أن تجلس في البيت..

قلت: نعم.. تعالي واجلسي.. فرحت وهمت أن تجلس..

وقمت أنا إلى جهاز الفيديو والتلفاز.. فانطلقت الموسيقى الصاخبة..

ارخت المسكينة رأسها وقالت: اتق الله يا أحمد.. وخرجت تجر أذيال الحسرة والهزيمة.. فهي لاتسمع الموسيقى..

ارتفعت الأصوات في الغرفة.. موسيقى.. صراخ.. ضحكات.. وانطلقت أشرب الشاي.. وأتناول المكسرات.. وعيناي قد تسمرتا في شاشة التلفاز..

انتهى الشريط الأول.. والشريط الثاني..

الساعة تشير إلى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل..

فجأة.. مقبض الباب يتحرك ببطء.. صرخت: ماذا تريدين؟.. لم أسمع جواباً..

انفتح الباب.. دخلت ابنتي المريضة..

فاجأني الموقف.. سكت برهة ولم أتكلم..

اقتربت مني.. نظرت إليّ بهدوووء.. ثم قالت: اتق الله يا بابا.. اتق الله يا بابا..

ثم انصرفت وأغلقت الباب..

ناديتها.. سارة.. سارة.. لم تجب.. انطلقت خلفها..

لا أكاد أصدق.. هل هذه ابنتي؟..

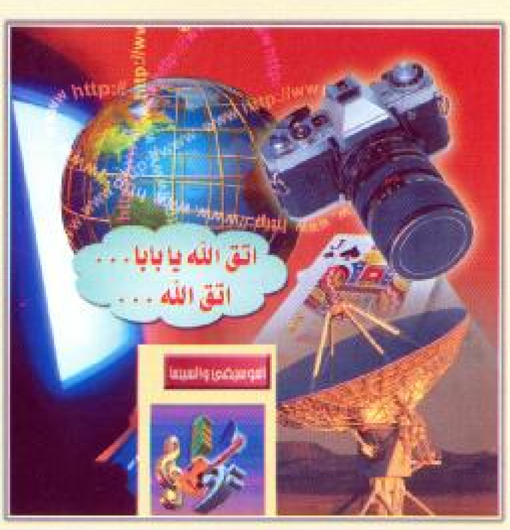
فتحت باب الغرفة.. وجدتها سبقتني إلى فراشها.. ونامت في حضن أمها.. إنها هي..

عدت إلى غرفة الجلوس.. أغلقت جهاز الفيديو.. صوت ابنتي يملأ الغرفة.. اتق الله يا بابا..

اتق الله يا بابا..

قشعريرة سرت في جسدي.. تصبب العرق من رأسي..

لا أدري ماذا أصابني..



ماعدت أسمع إلا صوتها.. ولا أرى إلا صورتها.. كلماتها اخترقت كل الحواجز الجاثمة على صدري منذ زمن بعيد.. ترك صلاة.. معاص.. دخان.. أفلام خليعة.. أيقظتني من الغفلة..تسارعت نبضات قلبي.. وألقيت بجسدي على الأرض..
حاولت أن أنام.. لكنني لم أستطع.. مضى الوقت سريعاً..
صور من الماضي استعرضتها أمامي.. ومع كل صورة اسمع صوت ابنتي يتردد.. اتق الله.. اتق الله.. وهنا.. ارتفع صوت الأذان.. اهتزت جوانحي.. ارتعدت فرائصي.. رعشة سرت في أطرافي.. جعل يردد: "الصلاة خير من النوم".. قلت: صدقت.. الصلاة خير من النوم.. أوووه.. لقد كنت نائماً كل هذه السنين..
توضأت وخرجت إلى المسجد.. مشيت في الطريق وكأني لا أعرفه..
كأن نسائم الفجر تعاتبني أين أنت؟
وطيور السماء تقول: مرحباً بالنائم الذي استيقظ أخيراً..
دخلت المسجد.. صليت ركعتين .. وجلست أقرأ القرآن..
تلعثمت في القراءة.. منذ زمن لم أقرأ القرآن..
شعرت أن القرآن يسألني: لم هجرتني منذ سنوات.. ألست كلام ربك..
أخذت أردد في سورة الزمر: (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً).. عجباً.. جميعاً.. ما أرحم الله بنا..
تمنيت أن أستمر في القراءة.. لكن المؤذن.. أقام الصلاة.. تجمدت في مكاني لحظة ثم تقدمت مع الناس.. وقفت في الصف.. وكأنني غريب..
انتهت الصلاة.. جلست في المسجد حتى أشرقت الشمس..
عدت إلى البيت.. فتحت باب الغرفة.. ألقيت نظرة على زوجتي وسارة..
كانتا نائمتين.. تركتهما وخرجت إلى العمل..
ليس من عادتي الذهاب مبكرا إلى العمل.. إندهش الزملاء بوجودي..
انطلقت عبارات التهنئة ممزوجة بالسخرية..
لم أبال بما يقولون.. تسمرت عيناي على الباب.. أنتظر قدوم إبراهيم..
زميلي في المكتب .. والذي طالما نصحني..
إنه شخص طيب الأخلاق.. حسن المعاملة..
حضر إبراهيم.. فقمت من مكاني استقبله.. لم يصدق عينيه.. سألني: أنت أحمد؟!!!..
قلت: نعم.. جذبت يده.. وقلت: أريد أن أحدثك..
قال: لا بأس.. نتحدث في المكتب.. قلت: لا .. نذهب الى الاستراحة..
صمت إبراهيم.. وراح يصغي لكلماتي.. حدثته بحديث البارحة..
امتلأت عيناه بالدموع.. وابتسم ابتسامة عريضه.. قال لي:

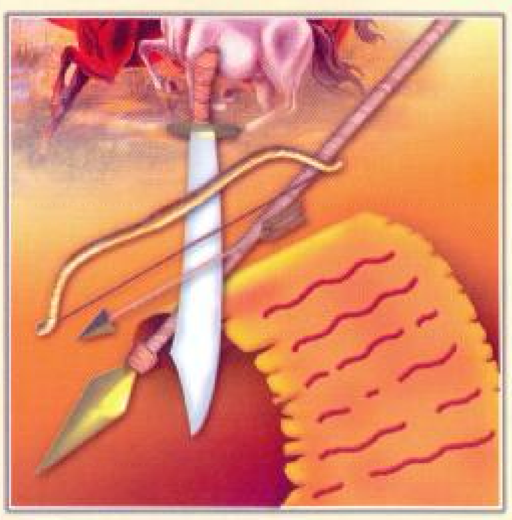
ذاك نور أضاء قلبك فلا تطفئه بظلمة المعاصي..
كان يوماً حافلاً بالنشاط والجدية.. رغم أني لم أنم منذ البارحة..
ابتسامة تعلو وجهي.. تفانٍ في العمل..
المراجعون يتجهون نحوي.. يطلبون مني مساعدتهم.. بعضهم قال لي:
ماهذا النشاط؟!.. أجبته: إنها صلاة الفجر في المسجد..
مسكين إبراهيم.. كان يتحمل العبء الأكبر من العمل.. أما أنا فقد كنت أنام..
لم يشتك ولم يتذمر.. ياله من إنسان طيب.. نعم إنه الإيمان عندما تخالط حلاوته القلوب..
مضى الوقت ولم أشعر بالتعب والإرهاق..
قال لي إبراهيم: أحمد.. يجب أن تذهب إلى البيت.. فإنك لم تنم منذ البارحة.. وسأقوم بعملك..
نظرت إلى الساعة.. لم يبق على أذان الظهر سوى دقائق.. قررت البقاء..
أذن المؤذن.. فسارعت إلى المسجد.. جلست في الصف الأول..
شعرت بالندم على الأيام التي كنت أهرب فيها من العمل وقت الصلاة..
بعد الصلاة انطلقت إلى البيت..
في الطريق انتابني شعور بالقلق.. ياترى كيف حال سارة؟..
شعرت بانقباض.. لا أدري لماذا؟!
أحسست أن الطريق هذه المرة طويل.. ازداد الخوف.. رفعت رأسي إلى السماء..
دعوت الله أن يعجل بشفاء ابنتي..
وصلت إلى البيت.. فتحت الباب.. ناديت زوجتي.. لم أسمع جواباً..
دخلت الغرفة مسرعاً..
زوجتي منطوية على نفسها تبكي..
التفتت إليَّ.. صرخت وهي تبكي: لقد ماتت سارة..
لم أتبين ماتقول.. اندفعت نحو سارة.. ضممتها إلى صدري.. حاولت حملها..
سقطت يدها نحو الأرض..
جسمها بارد.. كذلك يداها وقدماها.. نبضها.. أنفاسها..
لم أسمع شيئاً..
نظرت إلى وجهها.. نورٌ يتلألأ.. كأنه كوكب دري..



ايقظتها.. حركتها .. هززتها..
صرخت أمها: سارة.. سارة.. لقد ماتت.. ماتت.. وانخرطت في البكاء..
لم أصدق ما أرى.. كأنه حلم.. انهمرت الدموع من عيني.. أخذت أشهق..
أنظر إلى وجهها الجميل.. وشعرها الناعم..
أقبل فمها الصغير.. كأنها تردد الآن: عيب عليك.. عيب عليك.. يا بابا..
تذكرت أن هذه مصيبة.. أخذت أردد.. لا حول ولا قوة إلا بالله..
إنا لله وإنا إليه راجعون..
اتصلت بإبراهيم.. قلت له: تعال فوراً.. لقد ماتت سارة..
النساء في الداخل مع زوجتي يغسلن ابنتي..
انتهين من تغسيلها.. لففن على جسدها الطاهر خرقة بيضاء..
نادتني زوجتي..
دخلت كي أودع سارة الوداع الأخير.. كدت أسقط على الأرض.. تماسكت..
قبلتها على جبينها..
عاهدتها على الثبات حتى الممات.. نظرت إلى أمها.. فإذا هي زائغة العينين..
شاحبة الوجه.. تنتفض..
قلت لها: لاتحزني.. فقد ذهبت إلى الجنة بإذن الله.. هناك سنلتقي.. فشمري
كي تشفع لنا.. ثم قرأت قوله تعالى: (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان
ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين)..
بكت الأم وبكيت أنا..
صلينا عليها صلاة الجنازة.. ثم سرنا بها إلى المقبرة..
انظر إلى الجنازة وكأنني أنظر إلى النور الذي أضاء لي حياتي..
وصلنا المقبرة.. المكان موحش.. مخيف.. توجهنا إلى القبر..
وقفت على شفير القبر.. هنا سأضع ابنتي.. أمسك ابراهيم بكتفي
وقال: اصبر يا أحمد..
نزلت إلى القبر..
إنها دارك يا أحمد.. ربما اليوم وربما غداً.. ماذا أعددت لهذه الدار..
ناداني إبراهيم: أحمد خذ البنت.. وضعتها على صدري.. وددت لو أدفنها فيه..
ضممتها.. قبلتها..
ثم وضعتها على شقها الأيمن.. وقلت: بسم الله وعلى ملة رسول الله..
صففت اللبن.. سددت كل المنافذ..
خرجت من القبر.. بدأ الناس يهيلون التراب.. لم أملك دموعي..

.. ذكريات تائب..

هو شيخ كبير.. نجلس إليه.. بعدما كبر سنه.. ورق عظمه.. وكف بصره..
وهو يحكي ذكريات شبابه.. نجلس إلى كعب بن مالك رضي الله عنه ..
وهو يحكي ذكرياته.. في تخلفه عن غزوة تبوك..
وكانت آخر غزوة غزاها النبي ﷺ..
آذن النبي ﷺ للناس بالرحيل وأراد أن يتأهبوا أهبة غزوهم..
وجمع منهم النفقات لتجهيز الجيش.. حتى بلغ عدد الجيش ثلاثين ألفاً..
وذلك حين طابت الظلال والثمار..
في حر شديد.. وسفر بعيد.. وعدو قوي عنيد..
وكان عدد المسلمين كثيراً.. ولم تكن أسماؤهم مجموعة في كتاب..
قال كعب - كما في الصحيحين - :
وأنا أيسر ما كنت.. قد جمعت راحلتين.. وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد..
وأنا في ذلك أصغي إلى الظلال.. وطيب الثمار..
فلم أزل كذلك.. حتى قام رسول الله ﷺ غادياً بالغداة..
فقلت: أنطلق غداً إلى السوق فأشتري جهازي.. ثم ألحق بهم..
فانطلقت إلى السوق من الغد.. فعسر علي بعض شأني.. فرجعت..
فقلت: أرجع غداً إن شاء الله فألحق بهم.. فعسر عليّ بعض شأني أيضاً..
فقلت: أرجع غدا إن شاء الله.. فلم أزل كذلك..
حتى مضت الأيام.. وتخلفت عن رسول الله ﷺ..
فجعلت أمشي في الأسواق.. وأطوف بالمدينة..
فلا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق.. أو رجلاً أعمى أو أعرج قد عذره الله..
نعم تخلف كعب في المدينة..



أما رسول الله ﷺ فقد مضى بأصحابه الثلاثين ألفاً..
حتى إذا وصل تبوك.. نظر في وجوه أصحابه.. فإذا هو يفقد رجلاً صالحاً ممن شهدوا بيعة العقبة.. فيقول ﷺ: ما فعل كعب بن مالك؟!
فقال رجل: يا رسول الله..
خلفه برداه والنظر في عطفيه..
فقال معاذ بن جبل: بئس ماقلت.. والله يا نبي الله ما علمنا عليه إلا خيراً..
فسكت رسول الله ﷺ..

قال كعب: فلما قضى النبي ﷺ غزوة تبوك.. وأقبل راجعاً إلى المدينة.. جعلت أتذكر.. بماذا أخرج به من سخطه.. وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي.. حتى إذا وصل المدينة.. عرفت أني لا أنجو إلا بالصدق..

فدخل النبي ﷺ المدينة.. فبدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين.. ثم جلس للناس.. فجاءه المخلفون.. فطفقوا يعتذرون إليه.. ويحلفون له..

وكانوا بضعة وثمانين رجلاً.. فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم.. واستغفر لهم.. ووكل سرائرهم إلى الله..

وجاءه كعب بن مالك.. فلما سلم عليه.. نظر إليه النبي ﷺ.. ثم تبسم تبسم المغضب.. ثم قال له: تعال..

فأقبل كعب يمشي إليه.. فلما جلس بين يديه..

قال له ﷺ: ما خلفك.. ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ قال: بلى.. قال: فما خلفك؟! فقال كعب: يارسول الله.. إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا.. لرأيت أني أخرج من سخطه بعذر.. ولقد أعطيت جدلاً..

ولكني والله لقد علمت.. أني إن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به علي.. ليوشكن الله أن يسخطك علي..

ولئن حدثتك حديث صدق.. تجد علي فيه.. إني لأرجو فيه عفو الله عني..

يا رسول الله.. والله ما كان لي من عذر..

والله ماكنت قط أقوى.. ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.. ثم سكت كعب..

فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه.. وقال:

أما هذا.. فقد صدقكم الحديث.. فقم.. حتى يقضي الله فيك..

فقام كعب يجر خطاه.. وخرج من المسجد مهموماً مكروباً لايدري ما يقضي الله فيه.. فلما رأى قومه ذلك.. تبعه رجال منهم.. وأخذوا يلومونه.. ويقولون: والله ما نعلمك أذنبت ذنباً قط قبل هذا.. إنك رجل شاعر.. أعجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون.. هلا اعتذرت بعذر يرضى عنك فيه.. ثم يستغفر لك.. فيغفر الله لك..

قال كعب: فلم يزالوا يؤنبونني.. حتى هممت أن أرجع فأكذب نفسي..

فقلت: هل لقي هذا معي أحد؟

قالوا: نعم.. رجلان قالا مثل ماقلت.. فقيل لهما مثل ماقيل لك..

قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع.. وهلال بن أمية..

فإذا هما رجلان صالحان قد شهدا بدراً.. لي فيهما أسوة..

فقلت: والله لا أرجع إليه في هذا أبداً.. ولا أكذب نفسي..

• • •

ثم مضى كعب رضي الله عنه.. حزيناً كسير النفس.. وقعد في بيته..

فلم يمض وقت.. حتى نهى النبي ﷺ الناس عن كلام كعب وصاحبيه..

قال كعب: فاجتنبنا الناس.. وتغيروا لنا.. فجعلت أخرج إلى السوق.. فلا يكلمني أحد..
وتنكر لنا الناس.. حتى ماهم بالذين نعرف.. وتنكرت لنا الحيطان.. حتى ما هي بالحيطان التي نعرف.. وتنكرت لنا الأرض.. حتى ما هي بالأرض التي نعرف..
فأما صاحباي فجلسا في بيوتهما يبكيان.. جعلا يبكيان الليل والنهار.. ولا يطلعان رؤوسهما.. ويتعبدان كأنهما الرهبان..
وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم.. فكنت أخرج.. فأشهد الصلاة مع المسلمين.. وأطوف في الأسواق.. ولا يكلمني أحد.. وآتي المسجد فأدخل.. وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه.. فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟
ثم أصلي قريباً منه.. فأسارقه النظر.. فإذا أقبلت على صلاتي.. أقبل إلي..
وإذا التفت نحوه.. أعرض عني..

•••

ومضت على كعب الأيام.. والآلام تلد الآلام..
وهو الرجل الشريف في قومه..
بل هو من أبلغ الشعراء.. عرفه الملوك والأمراء..
وسرت أشعاره عند العظماء.. حتى تمنوا لقياه..
ثم هو اليوم.. في المدينة.. بين قومه.. لا أحد يكلمه.. ولا ينظر إليه..
حتى.. إذا اشتدت عليه الغربة.. وضاقت عليه الكربة.. نزل به امتحان آخر:
فبينما هو يطوف في السوق يوماً.. إذا رجل نصراني جاء من الشام..
فإذا هو يقول: من يدلني على كعب بن مالك..؟
فطفق الناس يشيرون له إلى كعب.. فأتاه.. فناوله صحيفة من ملك غسان..
عجباً!! من ملك غسان..!!
إذاً قد وصل خبره إلى بلاد الشام.. واهتم به ملك الغساسنة.. فماذا يريد الملك؟!!!
فتح كعب الرسالة فإذا فيها..
أما بعد.. يا كعب بن مالك.. إنه بلغني أن صاحبك قد جفاك وأقصاك..
ولست بدار مضيعة ولا هوان.. فالحق بنا نواسك..
فلما أتم قراءة الرسالة.. قال رضي الله عنه: إنا لله.. قد طمع في أهل الكفر..
هذا أيضاً من البلاء والشر..



ثم مضى بالرسالة فوراً إلى التنور.. فأشعله ثم أحرقها فيه..
ولم يلتفت كعب إلى إغراء الملك..
نعم فتح له باب إلى بلاط الملوك.. وقصور العظماء.. يدعونه إلى الكرامة والصحبة..
والمدينة من حوله تتجهمه.. والوجوه تعبس في وجهه.. يسلم فلا يرد عليه السلام.. ويسأل فلا يسمع الجواب..
ومع ذلك لم يلتفت إلى الكفار.. ولم يفلح الشيطان في زعزعته.. أو تعبيده لشهوته.. ألقى الرسالة في النار.. وأحرقها..

•••

مضت الأيام تتلوها الأيام.. وانقضى شهر كامل.. وكعب على هذا الحال..
والحصار يشتد خناقه.. والضيق يزداد ثقله..
فلا الرسول ﷺ يمضي.. ولا الوحي بالحكم يقضي..
فلما اكتملت أربعون يوماً..
فإذا رسول من النبي ﷺ يأتي إلى كعب.. فيطرق عليه الباب..
فيخرج كعب إليه.. لعله جاء بالفرج.. فإذا الرسول يقول له:
إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك..
قال: أطلقها.. أم ماذا؟ قال: لا.. ولكن اعتزلها ولا تقربها..
فدخل كعب على امرأته وقال: الحقي بأهلك..
فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر..
وأرسل النبي ﷺ إلى صاحبي كعب بمثل ذلك..
فجاءت امرأة هلال بن أمية.. فقالت:
يارسول الله.. إن هلال بن أمية شيخ كبير ضعيف.. فهل تأذن لي أن أخدمه..؟
قال: نعم.. ولكن لايقربنك..
فقالت المرأة: يانبي الله.. والله مابه من حركة لشيء..
مازال مكتئباً.. يبكي الليل والنهار.. منذ كان من أمره ماكان..

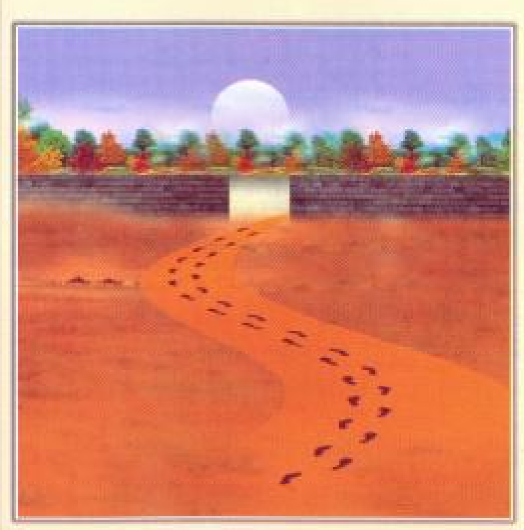
•••

ومرت الأيام ثقيلة على كعب.. واشتدت الجفوة عليه.. حتى صار يراجع إيمانه..
يكلم المسلمين ولا يكلمونه.. ويسلم على رسول الله ﷺ فلا يرد عليه..
فإلى أين يذهب..؟! ومن يستشير؟!
قال كعب رضي الله عنه: فلما طال عليّ البلاء.. ذهبت إلى أبي قتادة.. وهو ابن عمي..
وأحب الناس إليّ.. فإذا هو في حائط بستانه.. فتسورت الجدار عليه..
ودخلت.. فسلمت عليه.. فوالله مارد علي السلام..
فقلت: أنشدك الله.. يا أبا قتادة.. أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ فسكت.. فقلت:
يا أبا قتادة.. أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ فسكت.. فقلت: أنشدك الله.. يا أبا قتادة.. أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ فقال: الله ورسوله أعلم..

سمع كعب هذا الجواب.. من ابن عمه وأحب الناس إليه.. لايدري أهو مؤمن أم لا؟ فلم يستطع أن يتجلد لما سمعه.. وفاضت عيناه بالدموع..
ثم اقتحم الحائط خارجاً.. وذهب إلى منزله.. وجلس فيه.. يقلب طرفه بين جدرانه.. لا زوجة تجالسه.. ولا قريب يؤانسه.. وقد مضت عليه خمسون ليلة.. منذ نهى النبي ﷺ الناس عن كلامهم..

•••

وفي الليلة الخمسين.. نزلت توبتهم على النبي ﷺ في ثلث الليل..
فقالت أم سلمة رضي الله عنها:
يانبي الله.. ألا نبشر كعب بن مالك..
قال: إذاً يحطمكم الناس.. ويمنعونكم النوم سائر الليلة..
فلما صلى النبي ﷺ الفجر.. آذن الناس بتوبة الله عليهم..
فانطلق الناس يبشرونهم..
قال كعب: وكنت قد صليت الفجر على سطح بيت من بيوتنا..
فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى.. قد ضاقت علي نفسي.. وضاقت عليّ الأرض بما رحبت..
وما من شيء أهم إليّ.. من أن أموت.. فلايصلي عليّ رسول الله ﷺ.. أو يموت.. فأكون من الناس بتلك المنزلة.. فلا يكلمني أحد منهم.. ولايصلي عليّ..
فبينما أنا على ذلك..
إذ سمعت صوت صارخ.. على جبل سلع بأعلى صوته يقول:
ياكعب بن مالك!.. أبشر..
فخررت ساجداً.. وعرفت أن قد جاء فرج من الله..
وأقبل إليّ رجل على فرس.. والآخر صاح من فوق جبل.. وكان الصوت أسرع من الفرس..
فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني.. نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه.. والله ما أملك غيرهما.. واستعرت ثوبين.. فلبستهما.. وانطلقت إلى رسول الله ﷺ.. فتلقاني الناس فوجاً.. فوجاً.. يهنئوني بالتوبة.. يقولون: ليهنك توبة الله عليك..
حتى دخلت المسجد..
فسلمت على رسول الله ﷺ..

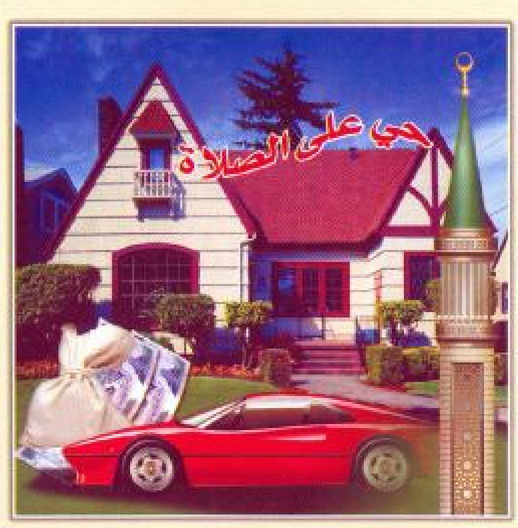


وهو يبرق وجهه من السرور.. وكان إذا سرّ استنار وجهه.. حتى كأنه قطعة قمر..
فقال لي: أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك..
قلت: أمن عندك يارسول الله.. أم من عند الله؟
قال: بل من عند الله.. ثم تلا الآيات.. فلما جلست بين يديه.. قلت: يارسول الله! ان من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله.. والى رسوله..
فقال: أمسك عليك بعض مالك.. فهو خير لك..
فقلت: يارسول الله! إن الله إنما نجاني بالصدق.. وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت..
نعم.. تاب الله على كعب وصاحبيه.. وأنزل في ذلك قرءانا يتلى..
فقال عز وجل: ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم• وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾..

.. في بطن الحوت..

كل الناس يذكرون الله عند الشدائد..
لكن منهم من يذكره ويطيعه.. فإذا زالت الشدة عصاه ونساه..
ومنهم من يستمر صلاحه وتوبته..
يونس عليه السلام.. دعا قومه إلى الإيمان.. فأعرضوا وتكبروا.. فغضب.. وركب البحر مع سفينة.. فلما ثقلت بهم خافوا أن يغرقوا جميعاً.. فعلموا أنه لابد أن يخففوا الحمل بإلقاء أحد ركابها إلى البحر.. عملوا القرعة مراراً فوقعت على يونس.. ألقوه في البحر.. فالتقمه الحوت.. ثم نزل به إلى الأعماق..
كل شيء حدث بسرعة.. يونس في الظلمات..
تسمع حوله.. فإذا به يسمع تسبيح الحصى الذي في قعر البحر..
فانتفض.. (فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)..
فقرعت كلماته أبواب السماء.. فنزل عليه الفرج..
هذا خبر يونس النبي عليه الصلاة والسلام..
أما يونس اليوم فيقول:
كنت شابا أظن أن الحياة.. مال وفير.. وفراش وثير.. ومركب وطيء..
وكان يوم جمعة.. جلست مع مجموعة من رفقاء الدرب على الشاطئ.. وهم كالعادة مجموعة من القلوب الغافلة..
سمعت النداء حي على الصلاة.. حي على الفلاح..

أقسم أني سمعت الأذان طوال حياتي.. ولكني لم أفقه يوماً معنى كلمة فلاح..
طبع الشيطان على قلبي.. حتى صارت كلمات الأذان كأنها تقال بلغة لا أفهمها..
كان الناس حولنا يفرشون سجاداتهم.. ويجتمعون للصلاة..
ونحن كنا نجهز عدة الغوص وأنابيب الهواء..
استعداداً لرحلة تحت الماء.. لبسنا عدة الغوص.. ودخلنا البحر.. بعدنا عن الشاطئ.. حتى صرنا في بطن البحر..
كان كل شيء على مايرام.. الرحلة جميلة..
وفي غمرة المتعة.. فجأة تمزقت القطعة المطاطية التي يطبق عليها الغواص بأسنانه وشفتيه لتحول دون دخول الماء إلى الفم.. ولتمده بالهواء من الأنبوب.. وتمزقت أثناء دخول الهواء إلى رئتي.. وفجأة أغلقت قطرات الماء المالح المجرى التنفسي.. وبدأت أموت..
بدأت رئتي تستغيث وتنتفض.. تريد هواء.. أي هواء..
أخذت اضطرب.. البحر مظلم.. رفاقي بعيدون عني..
بدأت أدرك خطورة الموقف.. إنني أموت.. بدأت أشهق.. وأشرق بالماء المالح.. بدأ شريط حياتي بالمرور أمام عيني.. مع أول شهقة.. عرفت كم أنا ضعيف..
بضع قطرات مالحة سلطها الله علي ليريني أنه هو القوي الجبار..
آمنت أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.. حاولت التحرك بسرعة للخروج من الماء.. إلا أني كنت على عمق كبير.. ليست المشكلة أن أموت.. المشكلة كيف سألقى الله؟!
إذا سألني عن عملي.. ماذا سأقول؟
أما أوّل ما أحاسب عنه.. الصلاة.. وقد ضيعتها.. تذكرت الشهادتين.. فأردت أن يختم لي بهما..
فقلت أشهـ.. فغصَّ حلقي..
وكأن يداً خفية تطبق على رقبتي لتمنعني من نطقها..
حاولت جاهداً.. أشهـ.. أشهـ..
بدأ قلبي يصرخ: ربِّ ارجعون.. ربِّ ارجعون..
ساعة.. دقيقة.. لحظة..
ولكن هيهات..
بدأت أفقد الشعور بكل شيء.. أحاطت بي ظلمة غريبة..
هذا آخر ما أتذكر..
لكن رحمة ربي كانت أوسع..
فجأة بدأ الهواء يتسرب إلى صدري مرة أخرى..



انقشعت الظلمة.. فتحت عيني.. فإذا أحد الأصحاب.. يثبت خرطوم الهواء في فمي.. ويحاول إنعاشي.. ونحن مازلنا في بطن البحر..
رأيت ابتسامة على محياه.. فهمت منها أنني بخير..
عندها صاح قلبي.. ولساني.. وكل خلية في جسدي..
أشهد أن لا إله إلا الله.. وأشهد أن محمد رسول الله.. الحمد لله..
خرجت من الماء.. وأنا شخص آخر.. تغيرت نظرتي للحياة..
أصبحت الأيام تزيدني من الله قرباً.. أدركت سر وجودي في الحياة.. تذكرت قول الله (إلا ليعبدون)..
صحيح .. ما خلقنا عبثا.. مرت أيام.. فتذكرت تلك الحادثة.. فذهبت إلى البحر.. ولبست لباس الغوص.. ثم أقبلت إلى الماء وحدي وتوجهت إلى المكان نفسه في بطن البحر.. وسجدت لله تعالى سجدة ما أذكر اني سجدت مثلها في حياتي.. في مكان لا أظن أن إنساناً قبلي قد سجد فيه لله تعالى.. عسى أن يشهد علي هذا المكان يوم القيامة فيرحمني الله بسجدتي في بطن البحر ويدخلني جنته اللهم آمين..

وغدراتـي وفجراتـي!!

ربنا أرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا.. ومن سعة رحمته.. أنه عرض التوبة على كل أحد.. مهما أشرك العبد وكفر.. أو طغى وتجبر.. فإن الرحمة معروضة عليه.. وباب التوبة مشرع بين يديه.. وانظر الى ذاك الشيخ الهرم.. الذي.. كبر سنه.. وانحنى ظهره.. ورق عظمه..
أقبل على رسول الله ﷺ.. وهو جالس بين أصحابه يوماً.. يجر خطاه.. وقد سقط حاجباه على عينيه.. وهو يدعم على عصا.. جاء يمشي.. حتى قام بين يدي النبي ﷺ.. فقال بصوت تصارعه الآلام: يارسول الله.. أرأيت رجلاً عمل الذنوب كلها.. فلم يترك منها شيئاً.. وهو في ذلك لم يترك حاجة.. ولا داجة.. أي صغيرة ولا كبيرة.. إلا أتاها.. لو قسمت خطيئته بين أهل الأرض لأوبقتهم.. فهل لذلك من توبة؟
فرفع النبي ﷺ بصره إليه.. فإذا شيخ قد انحنى ظهره.. واضطرب أمره.. قد هدّه مر السنين والأعوام.. وأهلكته الشهوات والآلام..
فقال له ﷺ: فهل أسلمت؟
قال: أما أنا.. فأشهد أن لا إله إلا الله.. وأنك رسول الله..
فقال ﷺ: تفعل الخيرات.. وتترك السيئات.. فيجعلهن الله لك خيرات كلهن..
فقال الشيخ: وغدراتي.. وفجراتي.. فقال: نعم..
فصاح الشيخ: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر..
فما زال يكبر حتى توارى عنهم..

الحديث: رواه الطبراني والبزار، وقال المنذري: إسناده جيد قوي، وقال ابن حجر هو على شرط الصحيح.

.. هل تطرحه في النار؟! ..

الله أرحم بعباده.. من آبائهم وأمهاتهم..

في الصحيحين:

أن النبي ﷺ لما انتهى من حرب هوازن.. أتي إليه بعد المعركة.. بأطفال الكفار ونسائهم.. ثم جمعوا في مكان..

فالتفت النبي ﷺ إليهم.. فإذا امرأة من السبي.. أم ثكلى.. تجر خطاها.. تبحث عن ولدها.. وفلذة كبدها.. قد اضطرب أمرها.. وطار صوابها.. واشتد مصابها.. تطوف على الأطفال الرضع.. تنظر في وجوههم.. يكاد ثديها يتفجر من احتباس اللبن فيه..

تتمنى لو أن طفلها بين يديها.. تضمه ضمة.. وتشمه شمة.. ولو كلفها ذلك حياتها.. فبينما هي على ذلك.. إذ وجدت ولدها.. فلما رأته جف دمعها.. وعاد صوابها.. ثم انكبت عليه.. وانطرحت بين يديه.. وقد رحمت جوعه وتعبه.. وبكاءه ونصبه.. أخذت تضمه وتقبله.. ثم ألصقته بصدرها.. وألقمته ثديها..

فنظر الرحيم الشفيق إليها.. وقد أضناها التعب.. وعظم النصب.. وقد طال شوقها إلى ولدها.. واشتد مصابه ومصابها.. فلما رأى ذلها.. وانكسارها.. وفجيعتها بولدها.. التفت إلى أصحابه ثم قال:

أترون هذه.. طارحة ولدها في النار..

يعني لو أشعلنا ناراً وأمرناها أن تطرح ولدها فيها..

أترون أنها ترضى..



فعجب الصحابة الكرام.. كيف تطرحه في النار.. وهو فلذة كبدها.. وعصارة قلبها.. كيف تطرحه.. وهي تلثمه.. وتقبله.. وتغسل وجهه بدموعها.. كيف تطرحه.. وهي الأم الرحية.. والوالدة الشفيقة..

قالوا: لا.. والله.. يارسول الله.. لاتطرحه في النار.. وهي تقدر على أن لاتطرحه..

فقال ﷺ: والله.. لله.. أرحم بعباده من هذه بولدها.

.. في المستشفى ..

• دخلت على مريض في المستشفى.. فلما أقبلت إليه.. فإذا رجل قد بلغ من العمر أربعين سنة.. من أنضر الناس وجهاً.. وأحسنهم قواماً..
لكن جسده كله مشلول لا يتحرك منه ذرة.. إلا رأسه وبعض رقبته.. لو أخذت فأساً وقطعت جسده من رجليه إلى صدره لما شعر بشيء.. لايدري أنه خرج منه بول أو غائط إلا إذا شمّ الرائحة يلبسونه حفائظ كالأطفال يغيرونها كل يوم..
دخلت غرفته.. فإذا جرس الهاتف يرن.. فصاح بي وقال: ياشيخ أدرك الهاتف قبل أن ينقطع الاتصال..
فرفعت سماعة الهاتف ثم قربتها إلى أذنه ووضعت مخدة تمسكها.. وانتظرت قليلاً حتى أنهى مكالمته.. ثم قال: ياشيخ.. أرجع السماعة مكانها..
فأرجعتها مكانها.. ثم سألته: منذ متى وأنت على هذا الحال؟
فقال: منذ عشرين سنة.. وأنا مشلول على هذا السرير..
• وحدثني أحد الفضلاء أنه مر بغرفة في المستشفى.. فإذا فيها مريض يصيح بأعلى صوته.. ويئن أنينا يقطع القلوب..
قال صاحبي: فدخلت عليه.. فإذا هو جسده مشلول كله..
وهو يحاول الالتفات فلا يستطيع..
فسألت الممرض عن سبب صياحه.. فقال:
هذا مصاب بشلل تام.. وتلف في الأمعاء.. وبعد كل وجبة غداء أو عشاء.. يصيبه عسر هضم..
فقلت له: لا تطعموه طعاماً ثقيلاً.. جنبوه أكل اللحم.. والرز..
فقال الممرض: أتدري ماذا نطعمه.. والله لا ندخل إلى بطنه إلا الحليب من خلال الأنابيب الموصلة بأنفه..
وكل هذه الآلام.. ليهضم هذا الحليب..
• وحدثني آخر انه مر بغرفة مريض مشلول أيضاً.. لايتحرك منه شيء أبداً..
قال: فإذا المريض يصيح بالمارين.. فدخلت عليه..
فرأيت أمامه لوح خشب عليه مصحف مفتوح.. وهذا المريض منذ ساعات.. كلما انتهى من قراءة الصفحتين أعادهما.. فإذا فرغ منهما أعادهما.. لأنه لا يستطيع أن يتحرك ليقلب الصفحة.. ولم يجد أحداً يساعده..
فلما وقفت أمامه.. قال لي: لو سمحت.. اقلب الصفحة..
فقلبتها.. فتهلل وجهه.. ثم وجّه نظره إلى المصحف وأخذ يقرأ..
فانفجرت باكياً بين يديه.. متعجباً من حرصه وغفلتنا..
• وحدثني ثالث انه دخل على رجل مقعد مشلول تماماً في أحد المستشفيات.. لا يتحرك إلا رأسه..
فلما رأى حاله.. رأف به وقال: ماذا تتمنى.. ظنّ أن أمنيته الكبرى أن يشفى..

ويقوم ويقعد.. ويذهب ويجيء..

فقال المريض.. أنا عمري قرابة الأربعين.. وعندي خمسة أولاد..
وعلى هذا السرير.. منذ سبع سنين.. والله لا أتمنى أن أمشي.. ولا أن أرى أولادي.. ولا أن أعيش مثل الناس.. قال: عجباً!! إذن ماذا تتمنى؟! فقال: أتمنى أني أستطيع أن ألصق هذه الجبهة على الأرض.. وأسجد كما يسجد الناس..

• وأخبرني أحد الأطباء: أنه دخل في غرفة الانعاش على مريض.. فإذا شيخ كبير.. على سرير أبيض وجهه يتلألأ نوراً.. قال صاحبي: أخذت أقلب ملفه..
فإذا هو قد أجريت له عملية في القلب.. أصابه نزيف خلالها.. مما أدى إلى توقف الدم عن بعض مناطق الدماغ.. فأصيب بغيبوبة تامة..
وإذا الأجهزة موصلة به.. وقد وضع على فمه جهاز للتنفس الصناعي يدفع إلى رئتيه تسعة أنفاس في الدقيقة.. كان بجانبه أحد أولاده.. سألته عنه..
فأخبرني أن أباه مؤذن في أحد المساجد منذ سنين..
أخذت أنظر إليه.. حركت يده.. حركت عينه.. كلمته.. لايدري عن شيء أبداً..
كانت حالته خطيرة..
اقترب ولده من أذنه وصار يكلمه.. وهو لا يعقل شيئاً..
فبدأ الولد يقول.. يا أبي.. أمي بخير.. واخواني بخير.. وخالي رجع من السفر..
واستمر الولد يتكلم.. والأمر على ماهو عليه.. الشيخ لايتحرك.. والجهاز يدفع تسعة أنفاس في الدقيقة..
وفجأة قال الولد.. والمسجد مشتاق إليك.. ولا أحد يؤذن فيه إلا فلان.. ويخطئ في الأذان.. ومكانك في المسجد فارغ..
فلما ذكر المسجد والأذان..
اضطرب صدر الشيخ.. وبدأ يتنفس.. فنظرت إلى الجهاز فإذا هو يشير إلى ثمانية عشر نفساً في الدقيقة..
والولد لايدري!!
ثم قال الولد: وابن عمي تزوج.. وأخي تخرج..
فهدأ الشيخ مرة أخرى..
وعادت الأنفاس تسعة..
يدفعها الجهاز الآلي..
فلما رأيت ذلك أقبلت إليه..
حتى وقفت عند رأسه..
حركت يده..



عينه.. هززته.. لاشيء.. كل شيء ساكن.. لايتجاوب معي أبداً.. تعجبت..
قربت فمي من أذنه ثم قلت: الله أكبررر.. حي على الصلاة.. حي على الفلاح..
وأنا أسترق النظر إلى جهاز التنفس.. فإذا به يشير إلى ثمان عشرة نفس في الدقيقة..
فلله درهم من مرضى.. بل والله نحن المرضى.. رجال قلوبهم معلقة بالمساجد..
نعم.. ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار • ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾..
هذا حال أولئك المرضى..
فأنت يا سليما من الأمراض والأسقام.. يا معافي من الأدواء والأورام..
يا من تتقلب في النعم.. ولاتخشى النقم..
ماذا فعل الله بك فقابلته بالعصيان.. بأي شيء آذاك.. أليست نعمه عليك تترى.. وأفضاله عليك لاتحصى؟ أما تخاف.. أن توقف بين يدي الله غداً..
فيقول لك: عبدي ألم أصح لك في بدنك.. وأوسع عليك في رزقك.. وأسلم لك سمعك وبصرك.. فتقول بلى.. فيسألك الجبار:
فلم عصيتني بنعمي.. وتعرضت لغضبي ونقمي..
فعندها تنشر في الملأ عيوبك.. وتعرض عليك ذنوبك..
فتبأ للذنوب.. ما أشد شؤمها.. وأعظم خطرها..
وهل أخرج أبانا من الجنة إلا ذنب من الذنوب..
وهل أغرق قوم نوح إلا الذنوب..
وهل أهلك عاداً وثمود إلا الذنوب..
وهل قلب على قوم لوط ديارهم.. وعجل لقوم شعيب عذابهم..
وأمطر على أبرهة حجارة من سجيل.. وأنزل بفرعون العذاب الوبيل..
إلا المعاصي والذنوب..

.. الجبال الراسيات ..

في أول بعثة النبي عليه الصلاة والسلام كان يدعو إلى الإسلام في مكة سراً..
وكان المسلمون يختفون بدينهم..
فلما تكامل عددهم ثمانية وثلاثين رجلاً..
ألحّ أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ في الظهور..
فقال ﷺ: يا أبا بكر.. إنا قليل..
فلم يزل أبو بكر يلح عليه حتى خرج ﷺ.. إلى المسجد.. وخرج المسلمون معه..
وتفرقوا في نواحي المسجد.. كل رجل في عشيرته..
وقام أبو بكر في الناس خطيباً.. فكان أول خطيب دعا إلى الله.. فلما رأى المشركون من يسفه آلهتهم.. ويتنقص دينهم..

ثاروا على أبي بكر وعلى المسلمين..
فجعلوا يضربونهم في نواحي المسجد ضرباً شديداً..
وابو بكر يجهر بالدين.. فأحاط به جمع منهم..
فضربوه.. حتى وقع على الأرض.. وهو كهل قد قارب عمره الخمسين سنة..
ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة.. وجعل يطأ على بطنه وصدره.. ويضربه بنعلين مخصوفين.. ويحرفهما على وجهه.. حتى مزق لحم وجهه.. وجعلت دماؤه تسيل.. حتى مايعرف وجهه من أنفه.. وأبوبكر مغمى عليه..
فجاءت قبيلته بنو تيم يتعادون.. ودفعوا المشركين عنه..
وحملوه في ثوب.. ولا يشكون في موته.. حتى أدخلوه منزله..
وقعد أبوه وقومه عند رأسه.. يكلمونه فلا يجيب..
حتى إذا كان آخر النهار.. أفاق.. وفتح عينيه.. فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: ما فعل رسول الله ﷺ..؟؟
فغضب أبوه وسبه.. ثم خرج من عنده..
فقعدت أمه عند رأسه.. تجتهد أن تطعمه أو تسقيه.. وتلح عليه..
وهو يردد: ما فعل رسول الله ﷺ.. فقالت: والله مالي علم بصاحبك.. فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب.. فسليها عنه.. وكانت أم جميل مسلمة تكتم إسلامها.. فخرجت أمه حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبدالله؟
فخافت أم جميل أن يكتشفوا إسلامها.. فقالت: ما أعرف أبا بكر.. ولا محمداً.. ولكن إن أحببت مضيت معك إلى ابنك..
قالت: نعم.. فمضت معها..
فلما دخلت على أبي بكر.. وجدته صريعاً دنفاً.. ممزق الوجه.. ودماؤه تسيل..
فبكت وقالت: والله إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر.. وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم..
فالتفت إليها أبوبكر.. وما يكاد يطيق.. فقال: يا أم جميل.. ما فعل رسول الله ﷺ..
فنظرت أم جميل إلى أم أبي بكر وكانت لم تسلم بعد.. فخشيت أن تخبر الكفار بأسرار المسلمين..



فقالت أم جميل لأبي بكر: هذه أمك تسمع..
قال: فلا شيء عليك منها..
قالت: رسول الله ﷺ سالمٌ صالحٌ.. قال: فأين هو؟
قالت: في دار أبي الأرقم..
فقالت أمه: قد عرفت خبر صاحبك.. فكل واشرب الآن..
فقال: لا.. إن لله علي أن لا أذوق طعاماً أو شراباً.. حتى آتي رسول الله ﷺ.. فأراه بعيني..
فأمهلتاه.. حتى إذا أظلم الليل.. وهدأ الناس.. حاول أن يقوم.. فلم يستطع..
خرجت به أمه وأم جميل يتكئ عليهما.. حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ..
فلما رآه النبي عليه الصلاة والسلام.. أكب عليه يقبله.. وأكبَّ عليه المسلمون..
ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة..
وأبوبكر يقول: بأبي وأمي أنت يارسول الله.. ليس بي من بأس.. إلا ما نال الفاسق من وجهي..
ثم قال أبو بكر: يارسول الله.. هذه أمي برة بولدها.. وأنت رجل مبارك.. فادعها إلى الله عز وجل.. وادع الله لها.. عسى الله أن يستنقذها بك من النار..
فدعا لها رسول الله ﷺ.. ثم دعاها إلى الله.. فأسلمت..
فانظر إلى هذا الجبل الراسي.. أبي بكر رضي الله عنه.. وتأمل في حرصه على الدعوة إلى الله.. واعجب من قوة ثباته على الدين..
فهلاّ سألت نفسك - وسألتيها - ماذا قدّمت للإسلام؟ كم شخصاً اهتدى على يدك؟ هل تحملت البلاء في سبيل الله.. هل تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ كن شجاعاً بطلاً.. كالجبال الراسيات والله يعينك ويسددك..

.. قال: معاذ الله ..

كان شاباً فقيراً.. يعمل بائعاً.. يتجول في الطرقات..
وكانت هي امرأة فارغة.. لا تكف عن التعرض للحرام.. كانت مصيدة للشيطان..
مرّ ذات يوم بجانب بيتها.. أطلت من طرف الباب وسألته عن بضاعته فأخبرها.. طلبت منه أن يدخل لترى البضاعة.. فلما دخل أغلقت الباب.. ثم دعته إلى الحرام.. فصاح بها.. معاذ الله..
وتذكر حاله عندما تذهب اللذات.. وتبقى الحسرات.. تذكر يوم تشهد عليه أعضاؤه التي متعها بالزنا.. رجله التي مشى بها.. يده التي لمس بها.. لسانه الذي تكلم به.. بل تشهد عليه.. كل ذرة من ذراته.. وكل شعرة من شعراته..
تذكر حرارة النيران.. وعذاب الرحمن..
يوم يعلق الزناة في النار.. ويضربون بسياط من حديد.. فإذا استغاث احدهم من الضرب.. نادته الملائكة: أين كان هذا الصوت وأنت تضحك.. وتفرح.. وتمرح.. ولا تراقب الله ولا تستحي منه..!!

تذكر قول النبي عليه الصلاة والسلام: (يا أمة محمد.. والله إنه لا أحد أغير من الله.. أن يزني عبده.. أو تزني أمته.. يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم.. لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرا)..

تذكر يوم رأى النبي عليه الصلاة والسلام في منامه رجالاً ونساءً عراة في مكان ضيق مثل التنور.. أسفله واسع وأعلاه ضيق.. وهم يصيحون ويصرخون.. وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم.. فإذا أتاهم ذلك اللهب صاحوا من شدة حره.. فقال ﷺ: من هؤلاء يا جبريل؟

قال: هؤلاء الزناة والزواني.. فهذا عذابهم إلى يوم القيامة..

ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.. نسأل الله العفو والعافية.. قالت له نفسه: افعل وتب.. قال.. أعوذ بالله.. كيف أهتكت ستر ربي.. كيف أنظر إلى امرأة لاتحل لي والله عز وجل من فوقنا.. ينظر إلينا.. كيف نختفي من الخلق.. ونفجر أمام الخالق.. فبقي ساكناً يفكر في مخرج.. وينظر على الباب.. فصاحت به الفاجرة: والله إن لم تفعل ما أريده منك صرخت.. فيحضر الناس فأقول: هذا الشاب.. هجم عليَّ في داري.. فما ينتظرك بعدها إلا القتل أو السجن.. فأخذ الشاب العفيف يرتجف.. خوفها بالله فلم تنزجر..

فلما رأى ذلك.. فكر في حيلة يتخلص بها.. فقال: أريد الخلاء.. الحمام.. فأشارت له إليه..

فلما دخل الخلاء.. نظر إلى نوافذه فإذا هو لايستطيع الهرب من خلالها.. ففكر في طريقة يتخلص بها..

فأقبل على الصندوق الذي يجمع فيه الغائط..



وجعل يأخذ منه ويلقي على ثيابه.. ويديه.. وجسده..

ثم خرج إليها.. فلما رأته صاحت.. وألقت في وجهه بضاعته.. وطردته من البيت..

فمضى يمشي في الطريق.. والصبيان يصيحون وراءه: مجنون.. مجنون..

حتى وصل بيته.. فأزال عنه النجاسة.. واغتسل..

فلم يزل يُشمُّ منه رائحة المسك.. حتى مات..

(ذكر القصة ابن الجوزي في المواعظ)

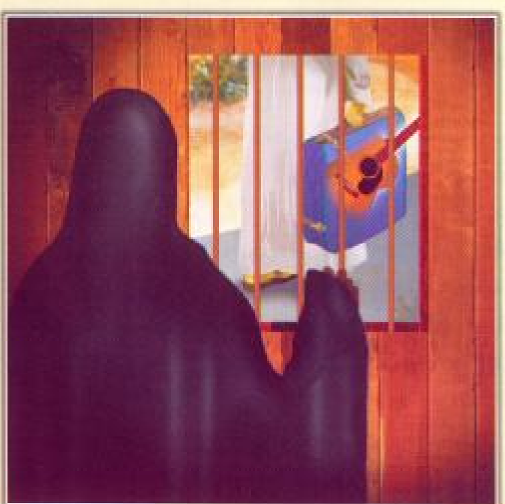
.. ينغمس في أنهارها ..

كان ماعز شاباً من الصحابة.. متزوجاً في المدينة..
وسوس له الشيطان يوماً.. وأغراه بجارية لرجل من الأنصار..
فخلا بها عن أعين الناس.. وكان الشيطان ثالثهما.. فلم يزل يزين كلا منهما لصاحبه حتى وقعا في الحرام..
فلما فرغ ماعز من جرمه.. تخلى عنه الشيطان.. فبكى وحاسب نفسه.. ولامها.. وخاف من عذاب الله.. وضاقت عليه حياته.. وأحاطت به خطيئته.. حتى أحرق الذنب قلبه..
فجاء إلى طبيب القلوب.. ووقف بين يديه وصاح من حرّ مايجد وقال:
يارسول الله.. إن الأبعد قد زنى.. فطهرني..
فأعرض عنه النبي ﷺ.. فجاء من شقه الآخر فقال: يارسول الله.. زنيت.. فطهرني.. فقال ﷺ: ويحك ارجع.. فاستغفر الله وتب اليه.. فرجع غير بعيد.. فلم يطق صبراً..
فعاد إلى النبي ﷺ وقال: يارسول الله طهرني..
فقال رسول الله: ويحك.. ارجع فاستغفر الله وتب اليه..
قال: فرجع غير بعيد.. ثم جاء فقال: يارسول الله طهرني..
فصاح به النبي ﷺ.. وقال: ويلك.. وما يدريك ما الزنا؟..
ثم أمر به فطرد .. وأخرج..
ثم أتاه الثالثة.. والرابعة كذلك.. فلما أكثر عليه..
سأل رسول الله ﷺ قومه: أبه جنون؟ قالوا: يارسول الله.. ماعلمنا به بأساً..
فقال: لعله شرب خمراً؟ فقام رجل فاستنكهه وشمه فلم يجد منه ريح خمر..
فقال ﷺ: هل تدري ما الزنا؟
قال: نعم.. أتيت من امرأة حراماً، مثل ما يأتي الرجل من امرأته حلالاً..
فقال ﷺ: فما تريد بهذا القول؟ قال: أريد أن تطهرني..
قال ﷺ: نعم.. فأمر به أن يرجم.. فرجم حتى مات..
فلما صلوا عليه ودفنوه مرّ النبي ﷺ على موضعه مع بعض أصحابه..
فسمع النبي ﷺ رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه:
انظر إلى هذا.. الذي ستر الله عليه ولم تدعه نفسه حتى رُجم رَجم الكلاب..
فسكت النبي ﷺ.. ثم سار ساعة.. حتى مر بجيفة حمار.. قد أحرقته الشمس حتى انتفخ وارتفعت رجلاه.. فلما رآه رسول الله ﷺ قال: أين فلان وفلان؟
قالا: نحن ذان.. يارسول الله..
قال: انزلا.. فكلا من جيفة هذا الحمار..

قالا: يا نبي الله!! غفر الله لك.. من يأكل من هذا؟
فقال ﷺ: ما نلتما.. من عرض أخيكما آنفا أشد من أكل الميتة.. لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم.. والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها..
فطوبي.. لماعز بن مالك.. نعم وقع في الزنى.. وهتك الستر الذي بينه وبين ربه.. لكنه تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم..
(أصل قصته في الصحيحين وسقتها من مجموع رواياتها)..

.. المغني ..

قال وهو يدافع عبراته كانت قد وقفت على النافذة تراقبني بعينين دامعتين.. تلوح بيديها اللتين أهزلهما مر السنين..
كانت تدافع عبراتها.. حتى غلبها البكاء.. فبكت..
وقفت أنظر إليها.. نشيجها يصل إلى مسمعي.. لكن المعاصي الجاثمة على صدري حالت بينه وبين الوصول إلى قلبي القاسي..
لم أرحم توسلاتها بالبقاء معها.. والالتحاق بجامعة في نفس المدينة..
أنانية.. حب للذات.. بحث عن حرية مزعومة.. وشخصية مستقلة بذاتها..
بل شهوات وملذات.. وشياطين من الإنس والجن يؤازر بعضهم بعضاً..
هروب من نصائحها ومواعظها.. من عطفها وشفقتها.. وخوفها أن أنحرف..
تركتها وهي واقفة تودعني.. غبت عنها وهي لم تفارق مكانها.. وداعا أمي..
مرت علي الأيام وأنا غائب عنها لم أعد أسمع عند خروجي: في حفظ الله يا ولدي.. إلى أين تذهب ياولدي؟
وهناك.. لم أعد أسمع: لماذا تأخرت ياولدي؟..



انطلقت في حياة اللهو والترف.. حياة الغفلة والخوض في المعاصي والآثام..
صوتي الجميل أغرى رفقاء السوء الذين زينوا لي الغناء..
بدأت أغني وشياطين الأنس يغدقون عبارات الثناء التي لامست قلبي..
إلى أن جاء ذلك اليوم الذي دعوت فيه لكي أغني على المسرح.. عشت صراعا رهيبا فلا زال الحياء يحتل من قلبي مساحة

صغيرة.. فعشت بين الرفض والموافقة لحظات.. فقلبي يعاتبني: لا لست من يقف ليغني كما يفعل الفسقة.. لكن نفسي توبخني وتلومني: هذه فرصتك لاتضيعها سوف تصبح مشهوراً... وبعد عناء وتردد وافقت..

صعدت على المسرح ولا زال للحياء بقية.. لكنه رحل مع أول كلمة تغنيت بها..

اهتزت القاعة طرباً.. وتمايلت الأجساد نشوة.. عبارات الثناء والمديح تستحثني على المواصلة كلما سكت..

لتمضي تلك الليلة ولتقضي على ماتبقى من إيمان..

رفقاء السوء من حولي قد أزدادوا.. الدعوات كثرت.. تنقلت من قاعة إلى قاعة.. تنقلت بين أصناف المعاصي والآثام.. سهرات خاصة وعامة..

قدمت لي دعوة للمشاركة في حفل غنائي في أحد القصور.. قدمت بعض الأغاني والتي تفاعل معها الجمهور وكنت بحق النجم القادم إلى الساحة الفنية..

تلقيت بعد هذه الحفلة دعوة من أحد أهل الفن يعرض علي رغبته في أن يتبناني فنياً ويهتم بي..

أخذت موعدا مع فنان مشهور عن طريق وكيل أعماله.. ليتم التنسيق بهذا الشأن.. وكان الموعد يوم الخميس..

الأيام تمضي سريعة..

قبل الموعد بيومين رجعت إلى أهلي.. لمشاركتهم في بعض المناسبات..

حركة دائبة في المنزل فزواج أخي يوم الخميس.. ويوم الأربعاء سيتم عقد قران اثنتين من اخواتي..

كانت أمي كالنحلة.. تنتقل من مكان إلى مكان.. لا تكاد الدنيا تسعها من الفرح.. تردد الدعوات والتبريكات..

على شفتيها فرح لو قسم على العالم لابتسم.. تواصل الليل بالنهار..

تعد العدة للفرح الكبير.. تطمئن على كل شيء.. لاتدع صغيرة ولا كبيرة إلا وتسأل عنها..

وجاء يوم الأربعاء سريعاً..

فإذا به يحمل الفاجعة التي غيرت مجرى حياتي.. الفاجعة التي أيقظتني من الغفلة.. أحيت قلبي الذي قد مات..

جاءت الفاجعة لتنتشلني من المستنقع القذر.. مستنقع الرذيلة.. مستنقع الغناء والطرب..

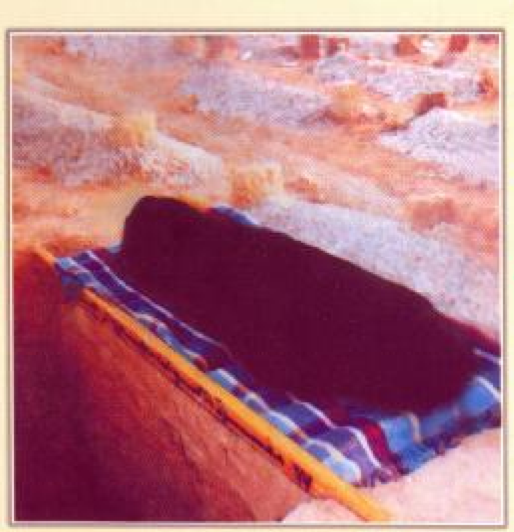
ماتت أمي.. كيف!! لا أدري.. المهم أنها ماتت..

بعد أن شاركتنا لحظات بسيطة من الفرح.. تنحت قليلاً..

وألقت بجسدها المنهك على سريرها.. وكأنها تقول: وداعاً صغاري.. لقد كبرتم..

تحول الفرح إلى حزن.. وجوه صامتة قد تملكتها الدهشة وألجمتها الفاجعة..

لاترى إلا دموعاً تنهمر.. وقلوباً ترتجف..
ولا تسمع إلا نشيجاً ينطلق من كل زاوية في المنزل.. كل شيء كان يبكي وينوح.. إلا أمي فقد كانت على فراشها ساكنة.. لاتدري عما حولها..
جهزوا جنازتها.. بدؤوا يغسلونها..
دخلت عليها بعدما غسلت.. ألقيت عليها النظرة الأخيرة.. كان وجهها هادئاً.. كما كان في الحياة..
نظرت إلى فمها.. عينيها.. يديها.. كانت بالأمس تنهاني عن مفارقتها خوفاً علي من الفساد..
قبلتها.. بكيت.. بكت أخواتي حولي.. أخرجوني من غرفة التغسيل..
مضت الساعات سريعة.. لم أشعر إلا وأنا أقف في الصف أصلي عليها.. جثتها هامدة.. والإمام يردد الله أكبر.. الله أكبر..
دعوت لها بكل جوارحي.. دعوت الله أن يغفر لي تقصيري في حقها..
حملت جنازتها مع من حملوا.. سرنا بها إلى القبر..
جعلت أهيل عليها التراب.. اللهم ثبتها.. اللهم ثبتها..
مضى النهار مع المعزين.. لكن كان لليل قول آخر..
أويت إلى غرفتي مبكراً.. أطفأت الأنوار.. ألقيت بجسدي على الفراش..
صورٌ من الماضي بدأت تظهر لي.. صوتها يملأ المكان.. ياولدي قم.. لا تفتك الصلاة.. زملاؤك في المسجد ينتظرونك..
ياولدي أبقَ معي.. واصل دراستك هنا.. لاتسافر.. ياولدي انتبه لنفسك..
حسرات وندم.. هموم وغموم أطبقت على صدري.. لم أستطع أن أتنفس..
صور من العقوق.. شريط الذكريات يمر أمامي..
كانت تسعدني وأشقيها.. تفرحني وأبكيها.. تذكرت.. توسلاتها.. رجاءها.. لا تذهب.. لا تفعل.. زفرات وحسرات..
آآآآآآه كم كنت عاقاً.. ترى ماذا ينتظرني في الآخرة؟!
(لايدخل الجنة قاطع).. أي قاطع رحم.. وأي رحم أعظم من رحم أمي.. أخشى أن يعجل لي العذاب في الدنيا بعقوق أولادي.. صرخت.. سامحني يارب.. ياليت أمي



ترجع إلى الدنيا لأقبل رأسها.. بل لأغسل رجليها بدمعي.. ماذا فعلت المسكينة لأعاملها ببرود وكبر.. أليست هي التي حملت وأرضعت وسهرت..

آآه.. ما أقسى قلبي.. أما حالي مع أبي فقد كان أكثر سوءاً..

بكيت بكاءً مراً.. قمت أصلي لكنني لم أستطع أن أقرأ فقد استعجم لساني..

كانت دموعي ساخنة فأذابت قسوة قلبي..

سجدت لله بللت موضع سجودي بالدموع..

النحيب مشفوع بدعوات صادقة تنطلق من الأعماق.. تؤمن عليها كل ذرة من ذرات جسدي..

عاهدت ربي على البر بها بعد موتها.. بالدعاء.. والصدقة.. والاستغفار..

سألته أن يثبتني على ذلك.. رددت الدعاء: اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك..

انتهيت من الصلاة..

توجهت نحو الماضي الكئيب.. أقلب بين الدفاتر والأوراق..

فهنا دفتر يحمل بعض الأغاني.. وهنا رسائل .. وهناك صور.. هذا شريط أغان خاصة.. وهذه أشرطة لبعض الفساق..

عمدت إلى جيبي أخرجت ما فيه من بطاقات.. وجدت بطاقة الفنان الكبير..

تذكرت موعده.. يوم الخميس عصراً..

صرخت: أعوذ بالله.. مزقته بيدي..

جمعت كل شيء يذكرني بالمعاصي والآثام.. وضعتها في كيس وفي اليوم الثاني كان الفراق بيني وبينها..

.. البطل ..

أما هو فقد كان شاباً نضراً.. نشأ في بيت عز وسلطان ..

كان معظماً عند قومه.. مهيباً في بلده.. مقدماً بين أقرانه.. فريداً في زمانه..

سلمان الفارسي رضي الله عنه..

كان مجوسيا .. يعبد النار وكان أبوه سيد قومه..

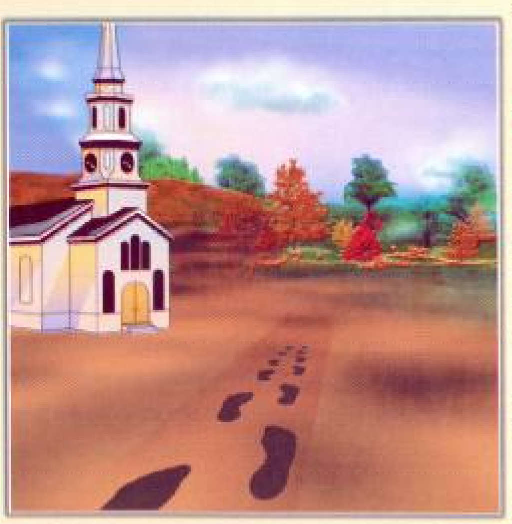
وكان يحبه حباً عظيماً.. وقد حبسه في بيته عند النار..

ومع طول ملازمته للنار.. اجتهد في المجوسية.. حتى صار قاطن النار الذي يوقدها..

وكان لأبيه بستان عظيم.. يذهب إليه كل يوم.. فشغل الأب في بنيان له يوماً في داره.. فقال لسلمان: فانطلق الى ضيعتي فاصنع فيها كذا وكذا..

ففرح سلمان وخرج من حبسه.. وتوجه إلى البستان.. فبينما هو في طريقه إذ مر بكنيسة للنصارى.. فسمع صلاتهم فيها.. فدخل عليهم ينظر ماذا يصنعون.. وأعجبه ما رأى من صلاتهم.. ورغب في اتباعهم.. وقال في نفسه: هذا خير من ديننا الذي نحن عليه.. فسألهم: عن دينهم.. فقالوا: أصله بالشام.. وأعلم الناس به هناك..

فلم يزل عندهم.. حتى غابت الشمس.. وتأخر على أبيه..
فلما رجع إليه.. قال أبوه: أي بني أين كنت؟
قال: إني مررت على ناس يصلون في كنيسة لهم.. فأعجبني ما رأيت من أمرهم وصلاتهم.. ورأيت أن دينهم خير من ديننا..
ففزع أبوه.. وقال: أي بني.. دينك ودين آبائك خير من دينهم..
قال: كلا والله.. بل دينهم خير من ديننا..
فخاف أبوه أن يخرج من دين المجوس.. فجعل في رجله قيداً.. ثم حبسه في البيت..
فلما رأى سلمان ذلك.. بعث إلى النصارى رسولاً من عنده.. يقول لهم: إني قد رضيت دينكم ورغبت فيه.. فإذا قدم عليكم ركب من الشام من النصارى.. فأخبروني بهم..
فما مضى زمن حتى قدم عليهم ركب من الشام.. تجار من النصارى.. فبعثوا إلى سلمان فأخبروه..
فقال للرسول: إذا قضى التجار حاجاتهم وأرادوا الرجوع إلى الشام فآذنوني..
فلما أراد التجار الرجوع أرسلوا إليه.. وواعدوه في مكان.. فتحيل حتى فك القيد من قدميه.. ثم خرج إليهم فانطلق معهم إلى الشام..
فلما دخل الشام.. سألهم: من أفضل أهل هذا الدين علماً؟
قالوا: الأسقف الذي في الكنيسة..
فتوجه إلى الكنيسة.. فأخبر الأسقف خبره.. وقال له: إني قد رغبت في هذا الدين.. وأحب أن أكون معك.. أخدمك.. وأصلي معك.. وأتعلم منك..
فقال له الأسقف: أقم معي.. فمكث معه سلمان في الكنيسة..
فكان سلمان يحرص على الخيرات.. والتعبد والصلوات..
أما الأسقف فكان رجل سوء في دينه.. كان يأمر الناس بالصدقة ويرغبهم فيها..
فإذا جمعوا إليه الأموال.. اكتنزها لنفسه.. ولم يعطها المساكين..
فأبغضه سلمان بغضاً شديداً.. لكنه لا يستطيع أن يخبر أحداً بخبره..
فالأسقف معظم عندهم.. أما هو فغريب.. قريب العهد بدينهم..
فلم يلبث الأسقف أن مات.. فحزن عليه قومه.. واجتمعوا ليدفنوه..
فلما رأى سلمان حزنهم عليه



قال: إن هذا كان رجل سوء.. يأمركم بالصدقة.. ويرغبكم فيها.. فإذا جئتموه بها.. اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً..
قالوا: فما علامة ذلك؟
قال: أنا أدلكم على كنزه.. فمضى بهم حتى دلهم على موضع المال.. فحفروه.. فأخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وفضة..
فقالوا: والله لا ندفنه أبداً.. ثم صلبوه على خشبة.. ورجموه بالحجارة..
وجاءوا برجل آخر.. فجعلوه مكانه في الكنيسة..
قال سلمان: فما رأيت رجلاً لايصلي الخمس.. كان خيراً منه..أعظم رغبة في الآخرة.. ولا أزهد في الدنيا.. ولا أدأب ليلاً ولا نهاراً منه.. فأحببته حباً ما علمت أني أحببته شيئاً كان قبله..
فلم يزل سلمان يخدمه.. حتى كبر وحضرته الوفاة..
فحزن على فراقه.. وخاف أن لايثبت على الدين بعده.. فقال له:
يا فلان.. قد حضرك ماترى من أمر الله.. فإلى من توصي بي؟
قال: أي بني .. والله ما أعلم أحداً على ما كنت عليه.. لقد هلك الناس وبدلوا.. وتركوا كثيراً مماكانوا عليه..
إلا رجلاً بالموصل وهو فلان.. وهو على ماكنت عليه فالحق به..
فلما توفي الرجل العابد.. خرج سلمان من الشام إلى العراق..
فأتى صاحب الموصل..
فأقام عنده.. حتى حضرته الوفاة.. فأوصى سلمان لرجل بنصيبين..
فشد رحاله إلى الشام مرة أخرى..
حتى أتى نصيبين.. فأقام عند صاحبه طويلاً.. حتى نزل به الموت.. فأوصاه أن يصاحب رجلاً بعمورية بالشام.. فذهب إلى عمورية.. وأقام عند صاحبه..
واكتسب حتى كانت عنده بقرات وغنيمة.. ثم لم يلبث العابد أن مرض ونزل به الموت.. فحزن سلمان عليه.. وقال له مودعاً:
يا فلان إلى من توصي بي؟ فقال الرجل الصالح:
ياسلمان.. والله ما أعلم أصبح على مثل ما نحن فيه أحد من الناس آمرك أن تأتيه.. يعني لقد غير الناس وبدلوا..
ولكنه قد أظلك زمان نبي يبعث بدين إبراهيم الحنيفية.. يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين (أي أرضين سوداوين) بينهما نخل.. به علامات لا تخفى: أنه يأكل الهدية.. ولا يأكل الصدقة.. بين كتفيه خاتم النبوة..
إذا رأيته عرفته.. فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل..
ثم مات ودفن فمكث سلمان بعمورية ما شاء الله أن يمكث.. وهو يلتمس من يخرج به إلى أرض النبوة.. فما زال كذلك.. حتى مرّ به نفر من قبيلة كلب.. تجار.. فسألهم عن بلادهم.. فأخبروه أنهم من أرض العرب..

فقال لهم: تحملوني إلى أرضكم.. وأعطيكم بقراتي وغنيمتي؟
قالوا: نعم.. فأعطاهم إياها.. وحملوه معهم.. حتى إذا قدموا به وادي القرى.. طمعوا في المال.. فظلموه وادعوا أنه عبد مملوك لهم.. وباعوه لرجل من اليهود.. فلم يستطع سلمان أن يدفع عن نفسه..
فصار عند هذا اليهودي يخدمه..
حتى قدم على اليهودي يوماً ابن عم له من المدينة من يهود بني قريظة..
فاشترى سلمان منه..
فاحتمله الى المدينة.. فلما رآها ورأى نخلها.. وحجارتها.. عرف أنها أرض النبوة التي وصفها له صاحبه.. فأقام بها.. وأخذ يترقب أخبار النبي المرسل..
ومرت السنوات..
وبعث الله رسوله عليه السلام فأقام بمكة ما أقام.. وسلمان لا يسمع له بذكر.. لشدة ماهو فيه من الخدمة عند اليهودي..
ثم هاجر ﷺ إلى المدينة ومكث بها.. وسلمان لايدري عنه شيئاً..
فبينما هو يوماً في رأس نخلة لسيده.. يعمل فيها.. وسيده جالس أسفل النخلة.. إذ أقبل رجل يهودي من بني عمه.. حتى وقف عليه.. فقال:
أي فلان.. قاتل الله بني قيلة.. يعني الأوس والخزرج.. إنهم الآن لمجتمعون على رجل بقباء.. قدم من مكة يزعمون أنه نبي.. فلما سمع سلمان ذلك.. انتفض جسده.. وطار فؤاده.. وارتجف على النخلة.. حتى كاد أن يسقط على صاحبه.. ثم نزل سريعاً وهو يصيح بالرجل: ماذا تقول؟ ماهذا الخبر؟
فغضب سيده.. ورفع يده فلطمه بها لطمة شديدة.. ثم قال:
ما لك ولهذا؟ أقبل على عملك.. فسكت سلمان.. وصعد نخلته يكمل عمله..
وقلبه مشغول بخبر النبوة..
ويريد أن يتيقن من صفات هذا النبي.. التي وصفها صاحبه..
يأكل الهدية.. ولا يأكل الصدقة.. وبين كتفيه خاتم النبوة..



فلما أقبل الليل.. جمع ما كان عنده من طعام.. ثم خرج حتى جاء إلى رسول الله ﷺ.. وهو جالس بقباء فدخل عليه.. فإذا حوله نفر من أصحابه.. فقال:
إنه بلغني أنكم أهل حاجة وغربة.. وقد كان عندي شيء وضعته للصدقة.. فجئتكم به..

ثم وضعه سلمان بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام.. واعتزل ناحية ينظر إليه ماذا يفعل؟
فنظر النبي ﷺ إلى الطعام.. ثم التفت إلى أصحابه.. فقال: كلوا..
وأمسك هو ﷺ فلم يأكل..
فلما رأى سلمان ذلك قال في نفسه: هذه والله واحدة.. لا يأكل الصدقة..
وبقي اثنتان.. ثم رجع إلى سيده..
وبعدها بأيام.. جمع طعاماً آخر.. ثم أقبل على رسول الله ﷺ فسلم عليه.. ثم قال له: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة.. وهذه هدية أهديتها كرامة لك.. ليست بصدقة..
ثم وضعها بين يديه ﷺ.. فمد يده إليها.. فأكل وأكل أصحابه..
فلما رأى سلمان ذلك قال في نفسه: هذه أخرى..
وبقيت واحدة.. أن ينظر إلى خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ.. ولكن أنى له ذلك..
رجع سلمان إلى خدمة سيده.. وقلبه مشغول بحال رسول الله ﷺ..
فمكث أياماً.. ثم مضى إلى رسول الله ﷺ يبحث عنه.. فإذا هو في بقيع الغرقد.. قد تبع جنازة رجل من الأنصار.. فجاءه فإذا حوله أصحابه.. وعليه شملتان مؤتزراً بواحدة.. مرتدياً بالأخرى.. كلباس الإحرام..
فسلم عليه.. ثم استدار ينظر إلى ظهره.. هل يرى الخاتم الذي وصف له صاحبه؟!
فلما رأى النبي ﷺ استدارته عرف أنه يستثبت في شيء وصف له..
فحرك كتفيه.. فألقى رداءه عن ظهره.. فنظر سلمان إلى الخاتم.. فعرفه..
فانكب عليه يقبله ويبكي..
فقال له النبي ﷺ تحول.. (أي اجلس أمامي).. فاستدار حتى قابل وجه النبي ﷺ..
فسأله ﷺ عن خبره.. فقص عليه قصته.. وأخبره أنه كان شاباً مترفاً.. ترك العز والسلطان.. طلباً للهداية والإيمان.. حتى تنقل بين الرهبان.. يخدمهم ويتعلم منهم.. واستقر به المقام عبداً مملوكاً ليهودي في المدينة..
ثم أخذ سلمان ينظر إلى رسول الله ﷺ.. ودموعه تجري على خديه.. فرحاً وبشراً..
ثم أسلم.. ونطق الشهادتين.. ومضى إلى سيده اليهودي.. فزاده اليهودي شغلاً وخدمة.. فكان الصحابة يجالسون النبي ﷺ.. أما هو فقد شغله الرق.. عن مجالسته.. حتى فاتته معركة بدر ثم أحد..
فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك قال له: كاتب ياسلمان.. أي اشتر نفسك من سيدك بمال تؤديه إليه..
فسأل سلمان صاحبه أن يكاتبه.. فشدد عليه اليهودي.. وأبى عليه إلا بأربعين أوقية من فضة.. وثلاثمائة نخلة.. يجمعها فسائل صغار.. ثم يغرسها..
واشترط عليه أن تحيا كلها..
فلما أخبر سلمان رسول الله ﷺ بما اشترط عليه اليهودي.. قال ﷺ لأصحابه:

أعينوا أخاكم بالنخل..

فأعانه المسلمون.. وجعل الرجل يمضي إلى بستانه فيأتيه بما يستطيع من فسيلة نخل.. فلما جمع النخل..

فقال ﷺ: يا سلمان.. اذهب ففقر لها - أي احفر لها - لغرسها.. فإذا أنت أردت أن تضعها فلا تضعها حتى تأتيني فتؤذنني..

فبدأ سلمان يحفر لها.. وأعانه أصحابه.. حتى حفر ثلاثمائة حفرة..

ثم جاء فأخبر النبي ﷺ.. فخرج ﷺ معه إليها.. فجعل الصحابة يقربون له فسيلة النخل.. ويضعه ﷺ بيده في الحفر..

قال سلمان: فوالذي نفس سلمان بيده.. ما ماتت منها نخلة واحدة..

فلما أدى النخل إلى اليهودي.. بقي عليه المال..

فأتى النبي ﷺ يوماً بذهب من بعض المغازي..

فالتفت إلى أصحابه وقال: ما فعل الفارسي المكاتب..

فدعوه له.. فقال ﷺ: خذ هذه فأد بها ما عليك ياسلمان..

فأخذها سلمان.. فأدى منها المال إلى اليهودي..

وعتق.. ثم لازم النبي ﷺ حتى مات..

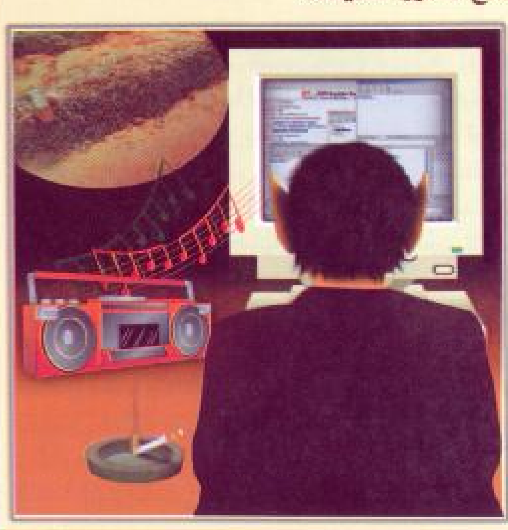
.. مفتاح الشر..

قال لي:

كان لي صديق حميم في مكانة الأخ.. مات الأسبوع الماضي فجأة في حادث سير.. أسأل الله أن يرحمه ويتجاوز عنه.. ليست المشكلة أنه مات.. فكلنا سنموت.. لكن المشكلة.. أن هذا الصديق له خبرة في الإنترنت.. وكان متعلقاً باكتشاف المواقع الإباحية.. وجمع الصور الخليعة..

حتى إنه صمم موقعاً إباحياً يحتوي على صور خليعة..

بل لديه مجموعة أشخاص.. مسجلين في الموقع.. يرسل إلى بريدهم كل فترة ما يستجد لديه من صور.. إباحية.. يرسلها الموقع إليهم آلياً..



ومات الرجل فجأة..

والمصيبة أننا لانعرف الرمز السري للموقع للتصرف فيه أو إغلاقه..

كنت أفكر في ذلك.. وأنا أنتظر الصلاة عليه في المسجد..

مشيت في جنازته.. وهو محمول على النعش..
كنت أفكر.. ما سيستقبله في قبره.. صور خليعة؟!..
حسبنا الله ونعم الوكيل!!
وصلنا إلى المقبرة.. قبور موحشة.. الناس يتزاحمون على القبر..
نظرت داخل قبره.. آآآه.. كيف سيكون حاله فيه..
رأيت بعض الناس يبكي..
قلت في نفسي: هل سينفعه بكاؤهم!!
دفناه.. ثم ذهبنا وتركناه في ظلمة القبر وحده.. رجع أهله وماله.. وبقي معه عمله.. وما أدراك ما عمله..
والدته رأت في المنام صبية يمرون على قبره ويتبولون فوقه..
كانت تتساءل عن تعبيرها.. المسكينة لاتدري عن خفايا الأمور!!
سمعت عن هذه الرؤيا..
فقلت في نفسي.. ما تحتاج إلى تعبير.. معناها واضح..
هؤلاء الصبية الذين يتبولون على قبره.. هم الذين أرسل إليهم الصور..
وبدؤوا هم بإرسالها لمن يعرفون.. يا للهول.. كيف سيتحمل آثام هؤلاء!!
(من دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من تبعه لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً).. حاولت جاهداً.. أن أحسن إليه.. خاطبت الشركة الكبرى المستضيفة للموقع ليوقفوا الاشتراك..
فاعتذروا عن عمل أي شي... بل لم يصدقوني.. لإني لا أعرف أرقامه السرية التي حجز بها الموقع..
صرخت بهم.. يا جماعة .. الرجل ماااااااااات.. لم يلتفتوا إلي..
جلست أتفكر في حاله.. تذكرت قوله ﷺ: "إن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، وأظنه واحداً منهم" كم صرخت به:
كيف تتحمل ذنوب الناس.. كيف تكون مفتاحاً للشر.. كيف تحمل أوزارهم في القيامة على كتفيك..
لكنه لم يكن يتأثر بكلامي.. كان يرى أنه شباب ويريد أن (يفرفش). وهذه أمور للتسلية فقط..
أعوذ بالله.. كم من شاب نظر نظرة إلى صورة فتبع ذلك وقوع في فاحشة..
وكم من فتاة وقعت في ذلك كذلك..
الرجل مات.. لكنه سيسأل يوم القيامة عن كل نظرة نظرها.. ونظروها.. وكل فاحشة واقعها.. وواقعوها.. وصورة نشرها.. ونشروها..
لا أدري كم سيستمر يتحمل آثامهم.. ولكن عسى الله أن يتجاوز عنه..
وحسبي الله ونعم الوكيل..

السماء لا تمطر..!!

بنو إسرائيل.. أصابهم قحط على عهد موسى عليه السلام.. فاجتمع الناس إليه.. فقالوا: يا كليم الله.. ادع لنا ربك أن يسقينا الغيث..

فقام معهم.. وخرجوا إلى الصحراء.. وهم سبعون ألفاً أو يزيدون..

اجتمعوا بين يديه.. وقاموا يدعون.. وهم شعث غبر.. عطاش جوعى..

وقام كليم الله يدعو: إلهي.. اسقنا غيثك.. وانشر علينا رحمتك.. وارحمنا بالأطفال الرضع.. والبهائم الرتع.. والمشايخ الركع..

فما زادت السماء إلا تقشعاً.. والشمس إلا حرارة..

فقال موسى: إلهي.. اسقنا..

فقال الله: كيف أسقيكم؟ وفيكم عبد يبارزني بالمعاصي منذ أربعين سنة.. فناد في الناس حتى يخرج من بين أظهركم.. فبسببه منعتكم..

فصاح موسى في قومه: يا أيها العبد العاصي.. الذي يبارز الله منذ أربعين سنة.. أخرج من بين أظهرنا.. فبك منعنا المطر..

فنظر العبد العاصي.. ذات اليمين وذات الشمال.. فلم ير أحداً خرج.. فعلم أنه المطلوب..

فقال في نفسه: إن أنا خرجت من بين هذا الخلق.. افتضحت على رؤوس بني إسرائيل..

وإن قعدت معهم منعوا المطر بسببي.. فانكسرت نفسه.. ودمعت عينه..

فأدخل رأسه في ثيابه.. نادماً على فعاله.. وقال:

إلهي .. وسيدي.. عصيتك أربعين سنة.. وسترتني وأمهلتني.. وقد أتيتك طائعاً فاقبلني.. وأخذ يبتهل إلى خالقه..



فلم يستتم الكلام.. حتى ارتفعت سحابة بيضاء.. فأمطرت كأفواه القرب..

فعجب موسى وقال: إلهي.. سقيتنا.. وما خرج من بين أظهرنا أحد..

فقال الله: يا موسى سقيتكم بالذي به منعتكم..

فقال موسى: إلهي.. أرني هذا العبد الطائع..

فقال: يا موسى.. إني لم أفضحه وهو يعصيني.. أأفضحه وهو يطيعني..

القرار الشجاع..

الطفيل بن عمرو..
كان سيداً مطاعاً في قبيلته «دوس»..
قدم مكة يوما في حاجة.. فلما دخلها.. رآه أشراف قريش.. فأقبلوا عليه..
قالوا له: من أنت؟ قال: أنا الطفيل بن عمرو.. سَيِّدُ دَوس..
فنظر بعضهم إلى بعض.. وخافوا أن يراه النبي عليه الصلاة والسلام فيدعوه إلى الإسلام.. فإن أسلم هذا السيد.. قوي به الإسلام..
فاجتمعوا عليه وقال له أحدهم: إن ههنا رجلاً في مكة يزعم أنه نبي.. فاحذر أن تجلس معه أو تسمع كلامه.. فإنه ساحر.. إن استمعت إليه ذهب بعقلك..
ثم قال له الآخر مثل ذلك.. وزاد الثالث عليهما.. وأكثروا الكلام..
قال الطفيل: فوالله ما زالوا بي يخوفونني منه.. حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً.. ولا أكلمه.. بل حشوت في أذني كرسفا - وهو القطن - خوفاً من أن يبلغني شيء من قوله.. وأنا مارٌ به..
فغدوت إلى المسجد.. فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة..
فقمت منه قريباً.. فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله..
فسمعت كلاماً حسناً..
فقلت في نفسي: واثكل امي! والله إني لرجل لبيب.. مايخفى علي الحسن من القبيح.. فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل مايقول.. فإن كان الذي به حسناً قبلته.. وإن كان قبيحاً تركته..
فمكثت حتى قضى صلاته.. فلما قام منصرفاً إلى بيته تبعته.. حتى إذا دخل بيته دخلت عليه.. فقلت: يامحمد.. إن قومك قالوا لي كذا وكذا..
ووالله ما برحوا يخوفونني منك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك..
وقد سمعت منك قولاً حسناً.. فاعرض عليَّ أمرك..
فابتهج النبي عليه الصلاة والسلام.. وفرح.. وعرض الإسلام على الطفيل..
وتلا عليه القرآن..
فتفكر الطفيل في حاله.. فإذا كل يوم يعيشه يزيده من الله بعداً..
وإذا هو يعبد حجراً.. لا يسمع دعاءه إذا دعاه.. ولايجيب نداءه إذا ناداه..
وهذا الحق قد تبين له..
ثم بدأ الطفيل يتفكر في عاقبة إسلامه..
كيف يغير دينه ودين آبائه!!.. ماذا سيقول الناس عنه؟!
حياته التي عاشها.. أمواله التي جمعها.. أهله.. ولده.. جيرانه.. خلانه..
كل هذا سيضطرب..
سكت الطفيل.. يفكر.. يوازن بين دنياه وأخراه..

وفجأة إذا به يضرب بدنياه عرض الحائط.. نعم سوف يستقيم على الدين.. وليرض من يرضى.. وليسخط من يسخط.. وماذا يكون أهل الأرض.. إذا رضي أهل السماء؟!..

ماله ورزقه بيد من في السماء..
صحته وسقمه بيد من في السماء..
منصبه وجاهه بيد من في السماء..
بل حياته وموته بيد من في السماء..
فإذا رضي أهل السما.. فلا عليه ما فاته من الدنيا..
إذا أحبه الله.. فليبغضه بعدها من شاء.. وليتنكر له من شاء.. وليستهزئ به من شاء..

فليتك تحلو والحياة مريرة ••• وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر ••• وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ••• وكل الذي فوق التراب تراب

نعم.. أسلم الطفيل مكانه.. وشهد شهادة الحق..
ثم ارتفعت همته.. وثارت عزيمته.. فقال:
يا نبي الله.. إني امرؤ مطاع في قومي . وإني راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام..
ثم خرج الطفيل من مكة.. مسرعاً إلى قومه.. حاملاً همّ هذا الدين..
يصعد به جبل.. وينزل به واد.. حتى وصل إلى ديار قومه..
فلما دخلها.. أقبل إليه أبوه.. وكان شيخاً كبيراً..
فقال الطفيل: إليك عني يا أبت.. فلست منك ولست مني..
قال: ولم يا بني؟ قال: أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ .. قال: ديني هو دينك..
قال: فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك.. ثم ائتني حتى أعلمك مما علمت..



فذهب أبوه واغتسل وطهر ثيابه.. ثم جاء فعرض عليه الإسلام فأسلم..
ثم مشى الطفيل إلى بيته..
فأقبلت إليه زوجته..
فقال: إليك عني.. فلست منك ولست مني.. قالت: ولم؟ بأبي أنت وأمي..
قال: فرّق بيني وبينك الإسلام.. وتابعت دين محمد ﷺ ..
قالت: فديني دينك..
قال: فاذهبي فتطهري.. ثم ارجعي إليّ.. فولته ظهرها ذاهبة..

وكان لهم صنم اسمه ذو الشرى.. يعظمونه ويرون أن من ترك عبادته أصابه الصنم بعقوبة.. فخافت المسكينة إن أسلمت أن يضرها أو يضر أولادها..

فرجعت إليه وقالت: بأبي أنت وأمي.. أما تخشى على الصبية من ذي الشرى..؟

وذو الشرى صنم عندهم يعبدونه.. وكانوا يرون أن من ترك عبادته أصابه أو أصاب ولده بأذى..

فقال الطفيل: اذهبي.. أنا ضامن لك أن لا يضرهم ذو الشرى..

فذهبت فاغتسلت.. ثم عرض عليها الإسلام فأسلمت..

ثم جعل الطفيل يطوف في قومه.. يدعوهم إلى الإسلام بيتاً بيتاً.. ويقبل عليهم في نواديهم.. ويقف عليهم في طرقاتهم..

لكنهم أبو إلا عبادة الأصنام..

فغضب الطفيل.. وذهب إلى مكة..

فأقبل على رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله.. إن دَوْساً قد عصت وأبت.. يا رسول الله.. فادع الله عليهم..

فتغير وجه النبي عليه الصلاة والسلام.. ورفع يديه إلى السماء..

فقال الطفيل في نفسه.. هلكت دَوْس..

فإذا بالرحيم الشفيق ﷺ.. يقول: "اللهم اهد دوساً.. اللهم اهد دوساً..

ثم التفت إلى الطفيل وقال: ارجع إلى قومك.. فادْعُهُم.. وارفق بهم..

فرجع إليهم.. فلم يزل بهم.. حتى أسلموا..

ومرت الأيام.. ومات النبي عليه الصلاة والسلام.. ولا زال الطفيل ثابتاً بعده على الدين حتى استشهد في معركة اليمامة.

يرى مقعده في الجنة!!

شاب.. بلغ من عمره ستة عشر عاماً.. كان في المسجد يتلو القرآن.. وينتظر إقامة صلاة الفجر..

فلما أقيمت الصلاة.. رد المصحف إلى مكانه.. ثم نهض ليقف في الصف..

فإذا به يقع على الأرض فجأة مغمى عليه..

حمله بعض المصلين إلى المستشفى..

فحدثني الدكتور الذي عاين حالته.. قال:

أتيَ إلينا بهذا الشاب محمولاً كالجنازة.. فلما كشفت عليه فإذا هو مصاب بجلطة في القلب.. لو أصيب بها جمل لأردته ميتاً..

نظرت إلى الشاب فإذا هو يصارع الموت.. ويودع أنفاس الحياة..

سارعنا إلى نجدته وتنشيط قلبه..

أوقفت عنده طبيب الإسعاف يراقب حالته.. وذهبت لإحضار بعض الأجهزة لمعالجته..

ثم أقبلت إليه مسرعاً.. فإذا الشاب متعلق بيد طبيب الإسعاف..

والطبيب قد ألصق أذنه بفم الشاب.. والشاب يهمس في أذنه بكلمات.. فوقفت أنظر إليهما.. لحظات..
وفجأة أطلق الشاب يد الطبيب.. وحاول جاهداً أن يلتفت لجانبه الأيمن..
ثم قال بلسان ثقيل: أشهد أن لا إله إلا الله.. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله..
وأخذ يكررها.. ونبضه يتلاشى.. وضربات القلب تختفي.. ونحن نحاول إنقاذه..
ولكن قضاء الله كان أقوى.. ومات الشاب..
عندها انفجر طبيب الإسعاف باكياً.. حتى لم يستطع الوقوف على قدميه..
فعجبنا وقلنا له: يا فلان!.. ما لك تبكي!!.. ليست هذه أول مرة ترى فيها ميتاً..
لكن الطبيب استمر في بكائه ونحيبه..
فلما خف عنه البكا... سألناه: ماذا كان يقول لك الفتى؟
فقال: لما رآك يا دكتور.. تذهب وتجيء.. وتأمر وتنهى.. علم أنك الطبيب المختص به..
فقال لي:
يا دكتور.. قل لصاحبك طبيب القلب.. لايتعب نفسه.. لا يتعب.. أنا ميت لا محالة..
والله إني أرى مقعدي من الجنة الآن..

على فراش الموت..

كتبت قصتها بيدها فقالت:
ما من يوم يمر علي إلا وأبكي.. كل يوم يمر أفكر فيه بالانتحار مرات..
لم تعد حياتي تهمني أبداً.. أتمنى الموت كل ساعة..
ليتني لم أولد ولم أعرف هذه الدنيا.. بدايتي كانت مع واحدة من صديقاتي..
دعتني ذات يوم إلى بيتها.. وكانت من الذين يستخدمون الإنترنت كثيراً..
وقد أثارت في الرغبة لمعرفة هذا العالم..
لقد علمتني كيف يستخدم.. وكل شيء تقريباً على مدار شهرين.. حيث بدأت أزورها كثيراً.
تعلمت منها "التشات" بكل أشكاله..
تعلمت منها كيفية التصفح .. وبحث المواقع الجيدة والرديئة..
في خلال هذين الشهرين كنت في عراك مع زوجي كي يدخل الإنترنت في البيت..



وكان ضد تلك المسألة.. حتى اقنعته بأني أشعر بالملل الشديد.. ونحن نسكن بعيداً عن أهلي..
تحججت بأن كل صديقاتي يستخدمن الإنترنت.. فلم لا أستخدمه وأحادثهن من خلاله فهو أرخص من الهاتف..
وافق زوجي.. ويا ليته لم يفعل..
أصبحت بشكل يومي أحادث صديقاتي.. بعدها أصبح زوجي لا يسمع مني أي شكوى أو مطالب..
أعترف بأنه ارتاح كثيراً من ازعاجي وشكواي..
كان كلما خرج من البيت أقبلت كالمجنونة على الإنترنت بشغف شديد..
أجلس الساعات الطوال..
بدأت أتمنى غيابه كثيراً..
أنا أحب زوجي.. وهو لم يقصر معي..
حتى وحالته المادية ليست بالجيدة مقارنه بأخواتي وصديقاتي.. إلا أنه كان يبذل لإسعادي بأي طريقة..
ومع مرور الأيام وجدت الإنترنت يسعدني أكثر فأكثر.. أصبحت لا أهتم حتى بالسفر إلى أهلي.. وقد كنا كل أسبوعين نسافر لنرى أهلي وأهله..
كان كلما دخل البيت فجأة ارتبكت فأطفئ كل شيء عندي بشكل جعله يستغرب فعلي..
لم يكن عنده شك.. بل كان يريد أن يرى ماذا أفعل في الإنترنت..
ربما كان لديه فضول.. أو هي الغيرة.. حيث قد رأى يوماً محادثة صوتية لم أستطع إخفائها..
بعدها كان يعاتبني ويقول: الإنترنت مجال واسع للمعرفة.. وليس مضيعة وقت..
مرت الأيام وأنا أزداد بالتشات فتنة..
تركت مسألة تربية الأبناء للخادمة.. كنت أعرف متى يعود.. فأطفيء الجهاز قبل مجيئه..
ومع ذلك أهملت نفسي كثيراً.. كنت في السابق أكون في أحسن شكل.. وأجمل زينة عند عودته من العمل..
وبعد الإنترنت بدأ هذا يتلاشى حتى اختفى كلياً..
كنت مشغوفة بالإنترنت.. لدرجة أني ذهبت خلسة بعد نومه.. وأرجع خلسة قبل أن يصحو من النوم..
ربما أدرك لاحقاً أن كل ما أفعله في الإنترنت هي مضيعة وقت ولكن كان يشفق علي من الوحدة وبعد الأهل وقد استغللت هذا احسن استغلال..
كان منزعجاً لإهمالي الأولاد..
وبخني كثيراً.. وكنت أتظاهر بالبكاء.. وأقول أنت لا تعرف ماذا يدور في البيت

في غيبتك.. فأنا مهتمة بهم حريصة عليهم.. لكنهم يتعبوني..
باختصار أهملت كل شيء.. حتى زوجي.. كنت أهاتفه عشرات المرات وهو خارج البيت فقط أريد سماع صوته.. والآن وبعد الإنترنت أصبح لا يسمع صوتي أبداً إلا في حالة احتياج البيت لبعض الطلبات النادرة..
تولدت لدى زوجي غيرة كبيرة من الإنترنت..
مر علي ستة أشهر على هذا الحال..
بنيت علاقات مع أسماء مستعارة لا أعرف إن كانت لرجل أم أنثى..
كنت أحاور كل من يحاورني عبر التشات.. حتى وأنا أعرف أن الذي يحاورني رجل.. إلا أن شخصاً واحداً هو الذي أقبلت عليه بشكل كبير..
أحببت حديثه ونكته.. كان مسلياً.. بدأت العلاقة بيننا تقوى مع الأيام..
تكونت هذه العلاقة اليومية في خلال ٣ أشهر تقريباً..
كان يغمرني بكلامه المعسول.. وكلمات الحب والشوق..
ربما لم تكن كلماته جميلة إلى هذه الدرجة.. ولكن الشيطان جملها بعيني كثيراً.. كانت محادثاتنا كلها كتابة.. عبر "التشات"..
في يوم من الأيام طلب سماع صوتي.. فرفضت.. أصر على طلبه.. هددني بتركي وأن يتجاهلني في التشات والإيميل..
حاولت كثيراً مقاومة هذا الطلب ولم أستطع.. لا أدري لماذا..
حتى قبلت مع بعض الشروط.. أن تكون مكالمة واحدة فقط..
استخدمنا برنامجاً للمحادثة الصوتية.. رغم أن البرنامج ليس بالجيد.. ولكن كان صوته جميلا جيداً وكلامه عذباً جداً..
قال لي: صوتك غير واضح عبر الإنترنت.. أعطيني رقم هاتفك..



رفضت ذلك.. تعجبت من جرأته.. لم أجرؤ على مكالمته لمدة طويلة..
كنت أعلم والله أن الشيطان الرجيم كان يلازمني ويحسن صوته في نفسي ويصارع بقايا العفة والدين وما أملك من أخلاق..
حتى أتى اليوم الذي كلمته من الهاتف.. ومن هنا بدأت حياتي بالانحراف.. لقد انجرفت كثيرا!!!!!!!..

لن أطيل الكلام..

من يقرأ قصتي يشعر بأن زوجي مهمل في حقي.. أو كثير الغياب عن البيت.. ولكن العكس هو الصحيح.. كان يخرج من عمله ولا يذهب إلى أصدقائه كثيراً من أجلنا أنا وأولادي..

ومع مرور الأيام وبعد اندماجي بالإنترنت والتي كنت أقضي بها ما يقارب ٨ إلى ١٢ ساعة يومياً.. أصبحت أكره كثرة تواجده في البيت.. ألومه على هذا كثيراً.. أشجعه بأن يعمل في المساء حتى نتخلص من الديون المتراكمة والأقساط التي لا تنتهي..

وفعلاً أخذ بكلامي.. ودخل شريكاً مع أحد أصدقائه في مشروع صغير..

بعد ذلك.. أصبح الوقت الذي أقضيه في الإنترنت أكثر وأكثر..

رغم انزعاجه كثيراً من فاتورة الهاتف والتي تصل إلى الآلاف أحياناً.. إلا أنه لم يقدر على صدي عن هذا أبداً..

بدأت علاقتي بصاحبي تتطور.. أصبح يطلب رؤيتي بعدما سمع صوتي مراراً.. بل ربما ملّ منه..

لم أكن أبالي كثيراً أو أحاول قطع اتصالي به.. بل كنت فقط أعاتبه على طلبه.. وربما كنت أكثر منه شوقاً إلى رؤيته..

لكني كنت أترفع عن ذلك.. لا لشيء.. سوى أنني خائفة..

أصبح إلحاحه يزداد يوماً بعد يوم.. يريد فقط رؤيتي لا أكثر.. قبلت طلبه بشرط أن تكون أول وآخر مرة نتقابل فيها.. تواعدنا ثم التقينا في أحد الأسواق وكان الشيطان ثالثنا..

في الحقيقة من أول نظرة أعجبني.. بل زينه الشيطان في عيني..

لم يكن زوجي قبيحاً.. لكن الشيطان يزين الحرام..

افترقنا.. بدأ بعدها يقوي علاقته بي.. لم يكن يعرف أني متزوجة.. وأم أولاد.. رآني بعدها مراراً.. عرف عني كل شيء.. جعلني أكره زوجي.. اقترح عليّ الطلاق من زوجي لأتزوجه..

بدأت أكره زوجي.. بدأت اصطنع معه المشاكل كل يوم ليطلقني..

لم يحتمل زوجي هذه المشاكل التافهة.. وبدأ يكثر الغياب عن البيت..

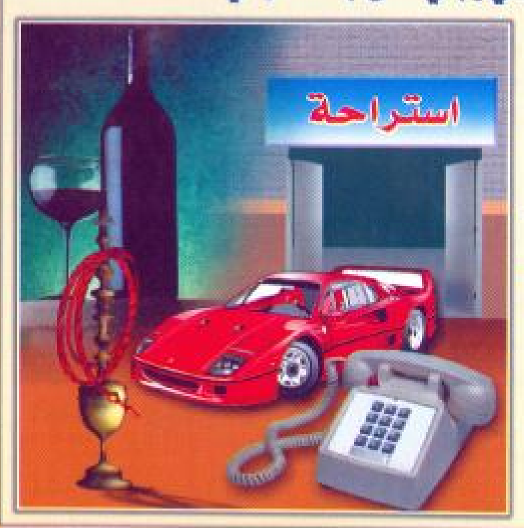
حتى وقعت الكارثة..

قال لي زوجي يوما إنه ذاهب في رحلة عمل لمدة خمسة أيام..

عرض عليّ أن أذهب مع الأولاد إلى أهلي.. أحسست أن هذا هو الوقت المناسب.. رفضت الذهاب لأهلي.. فوافق مضطراً وذهب مسافراً في يوم الجمعة.. وفي يوم الأحد كان الموعد..

اتفقت مع الشيطان أن أقابله في مكان بأحد الأسواق.. ركبت معه سيارته ثم انطلق بي يجوب الشوارع..

أول مرة في حياتي أخرج مع رجل غريب.. كنت قلقة وكان يبدو عليه القلق أكثر مني..
قلت له: لا أريد أن يطول وقت خروجي من البيت.. أخشى أن يتصل زوجي أو يحدث شيء..
قال لي: وإذا عرف زوجك!!.. ربما يطلقك وترتاحين منه..
لم يعجبني حديثه ونبرة صوته.. بدأ القلق يزداد عندي..
قلت له: يجب أن لا تبتعد كثيراً.. لا أريد أن أتأخر عن البيت..
بدأ يشغلني بأحاديث جانبية..
وفجأة وإذا أنا في مكان لا أعرفه .. مظلم وهي أشبه باستراحة أو مزرعة..
بدأت أصرخ به: ما هذا المكان؟ إلى أين تأخذني؟..
وما هي إلا ثوان معدودات.. وإذا بالسيارة تقف.. ورجل آخر يفتح عليَّ الباب ويخرجني بالقوة.. وثالث داخل الاستراحة.. ورابع رأيته جالساً.. روائح غريبة تنبعث من المكان.. كان كل شيء ينزل علي كالصاعقة..
صرخت وبكيت واستعطفتهم..
أصبحت من شدة الرعب لا أفهم مايدور حولي.. شعرت بضربة كف على وجهي.. وصوت يصرخ علي.. فزلزلني زلزالاً فقدت الوعي بعده من شدة الخوف.. وقع ما وقع.. وصحوت بعدها من إغمائي..
تملكني رعب شديد.. جسمي يرتعش.. لم أتوقف عن البكاء..
ربطوا عيني .. وحملوني إلى السيارة.. ورموني في مكان قريب من البيت..
دخلت البيت مسرعة.. بقيت أبكي وأبكي حتى جفت دموعي..
أصبحت حبيسة غرفتي.. لم أر أبنائي..
ولم أدخل في فمي لقمة..
كرهت نفسي.. حاولت الانتحار..
أبنائي لم أعد أعرفهم.. أو أشعر بوجودهم..
رجع زوجي من السفر.. كانت حالتي سيئة لدرجة أنه أخذني إلى المستشفى بقوة..
أعطوني مهدئات ومقويات..
طلبت من زوجي أن يأخذني إلى أهلي بأسرع وقت..



كنت أبكي كثيراً.. وأهلي لا يعملون شيئاً.. يعتقدون أن هنالك مشكلة بيني وبين زوجي..

حاول أبي أن يتفاهم مع زوجي.. ولم يصل معه إلى نتيجة.. لأن زوجي أصلاً لا يعلم شيئاً.. لا أحد يعلم ما الذي حل بي.. حتى أن أهلي عرضوني على بعض القراء.. اعتقاداً منهم بأني مريضة..

باختصار.. أنا لا أستحق زوجي أبداً..

لذا طلبت منه الطلاق.. إكراماً له والله.. فأنا لا أستحق أن أعيش بين الأشراف مطلقاً..

أنا التي حفرت قبري بيدي.. وصديق "التشات" لم يكن سوى صائداً لفريسة من البنات اللواتي يستخدمن التشات..

حزن زوجي لحالي.. بل ترك عمله أياماً ليكون قريباً مني.. رفض أن يطلقني.. كان المسكين يحبني.. تعب حتى كوّن أسرة وبيتاً ولا يريد أن يهدمه..

كتمتُ سري في صدري.. وكل يوم يمر بي أزداد قهراً على قهري.. أيُّ ذلٍّ أصابني من أولئك الأنذال.. كيف أكون مزبلة لشرّاب خمور ومتعاطي مخدرات يعبثون بجسدي كما شاءوا.. كم كنت غبية حمقاء.. كيف أمضيت أشهراً في صرف عواطفي لمن لا يستحقها..

وها أنا أكتب هذه القصة من على فراش المرض والهزال.. بل لعله يكون فراش الموت..

.. اتخذوه مهجوراً..

قالت:

كنت في الحرم المكي.. في قسم النساء.. وإذا بامرأة تطرق على كتفي.. تردد بلكنة أعجمية: يا حاجة!! يا حاجة!!..

إلتفت إليها.. فإذا هي امرأة متوسطة السن.. غلب على ظني أنها تركية..

سلمت علي.. وقعت في قلبي محبتها! سبحان الله الأرواح جنود مجندة..

كانت تريد أن تقول شيئاً.. تحاول استجماع كلماتها.. أشارت إلى المصحف الذي كنت أحمله.. ثم قالت بعربية مكسرة:

أنت تقرأ في قرآن..؟! قلت: نعم!.. وإذا بالمرأة.. يحمر وجهها.. وتمتلىء عيناها بالدموع.. قد هالني منظرها.. بدأت في البكاء!!

قلت لها: ما بك!؟ قالت بصوت مخنوق وهي تنظر بخجل.. أنا ما أقرأ قرآن..

قلت: لماذا؟

قالت: ما أعرف.. ومع انتهاء حرف الفاء.. انفجرت باكية..

ظللت أربت على كتفيها وأهدىء من روعها..

قلت: أنت الآن في بيت الله.. اسأليه أن يعلمك.. وأن يعينك على قراءة القرآن..
كفكفت دموعها..
وفي مشهد لن أنساه ما حييت.. رفعت المرأة يديها تدعو الله قائلة: اللهم افتح قلبي.. اللهم افتح قلبي أقرأ قرآن.. اللهم افتح قلبي أقرأ قرآن..
ثم التفتت إليّ وقالت: أنا أموت وما قرأت قرآن..
قلت لها: لا.. إن شاء الله سوف تقرئينه كاملاً وتختميه مرات ومرات..
سألتها: هل تقرأين الفاتحة؟
فاستبشرت.. وقالت: نعم..
ثم بدأت ترتل: الحمد لله رب العالمين.. الرحمن الرحيم..
حتى ختمتها..
ثم جلست تعدد قصار السور التي تحفظها..
كنت متعجبة من عربيتها الجيدة إلى حد ما.. وهي تتكلم عن حياتها.. وما تبذله لتتعلم القرآن..
وفجأة تغير وجهها.. وقال: إذا أنا أموت ما قرأت قرآن.. أنا في نار!!
أنا والله أسمع شريط.. بس لازم في قراءة!! هذا كلام الله.. كلام الله العظيم! وبدأت المسكينة تدافع عبراتها وهي تتكلم عن عظمة الله.. وحق كتابه علينا..
لم أتمالك نفسي من البكاء! امرأة أعجمية.. في بلاد علمانية.. تخشى أن تلقى الله ولم تقرأ كتابه.. منتهى أملها في الحياة أن تختم القرآن..
تبكي.. وتحزن.. وتضيق عليها نفسها.. لأنها لا تستطيع تلاوة كتاب الله..
فما بالنا قد هجرناه؟
قد أوتيناه فنسيناه؟
ما بالنا والسبل ميسرة لحفظه وتلاوته وفهمه؟
بالله.. على أي شيء تحترق قلوبنا؟ وما الذي يثير مدامعنا ويهيج أحزاننا؟
أسأل الله أن ينفع بهذه القصص، وأشير إلى أن بعضها قد اقتبسته من بعض المواقع في شبكة الانترنت، ولم أجد أسماء كاتبيها.. فهم شركاء في الأجر والثواب إن شاء الله..

